العلم الشرعي

محمود حسن حجازي

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

العلم الشرعي

محمود حسن حجازي

2021 -1442

كل الحقوق محفوظة

قـــالـــوا

ما كتب أحدٌ في يومٍ كتاباً إلا قال في غيره

والله لو أني فعلت كذا لكان كذا

ولو غُيرِّ كذا لكان يستحسن

ولو أضيف هذا لكان أجمل

ولو ترك هذا لكان أفضل

وهذا من أعظم العبر

وهذا دليلُ استيلاءِ النقصِ على سائر البشر

الأصفهاني

مـأثـورات

قال علي بن أبي طالب ﷺ: "حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب الحرام، وطلب الحلال، والتوسعة في العيال"

قال علي بن أبي طالب ﷺ: "ما آتى الله ﷻ عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه، وما أخذ الله ﷻ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يُعلِّموا"

قال ابن القيم ﷺ: "جمع النبي ﷺ بين تقوى الله ﷻ وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله ﷻ تصلح ما بين العبد وربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله ﷻ توجب له محبة الله ﷻ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته"

قال ابن القيم ﷺ: "ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصُحبة الملإ الأعلى، لكفى به شرفاً وفضلاً، فكيف وعِزُّ الدنيا والآخرة منوطٌ به، مشروط بحصوله"

قال إبراهيم بن أدهم ﷺ: "مَنْ طَلَبَ العِلْمَ خَالِصًا، يَنْفَعُ بِهِ عِبَادَ اللهِ، وَيَنْفَعُ نَفْسَهُ؛ كَانَ الخُمُولُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ، فَذَلِكَ الذِي يَزْدَادُ فِي نَفْسِهِ ذُلاًّ، وَفِي العِبَادَةِ اجْتِهَادًا، وَمِنَ اللهِ خَوْفًا، وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا، لاَ يُبَالِي عَلَى مَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا."

دعـــــاء

اللهم قد عملنا بالتدبير أعواماً، فزاد تعلقنا بك سبحانك، وإيماننا بك يا عليم، فسارعنا بالدعاء لك منكسرين: "اللهم دبر لنا فإنا لا نحسن التدبير"

الإهـــــــداء

إلى كل من تجرع الكأس فارغاً ليسقينا قطرات الحكمة...

إلى كل من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة...

إلى كل من حصد الأشواك عن دربنا ليمهد لنا طريق العلم..

نهدي هذا الجهد المتواضع، سائلين المولى ﷻ أن يوفقنا والمؤمنين لما فيه الخير والبناء...

إهـــــــداء خـــاص

إهداء إلى روح أبي العزيز الذي رباني أفضل تربية،،،

إهداء إلى أمي الغالية التي سهرت الليالي من أجلي وتعبت كثيراً حتى أرتاح لها مني كل الحب والتقدير،

إهداء إلى زوجتي الحبيبة التي كانت بجانبي دائماً تساعدني وتدعو إليّ بالتوفيق،

إهداء إلى ابني الحبيب حازم الذي أتمنى أن أنظر إليه دائماً لترتاح نفسي وتطمئن،،،

إهداء إلى ابنتي الغالية أمل التي أحببتها كثيراً وأحب أن أنظر إليها دائماً،،،

إهداء إلى كل أحبابي الذين عرفوني وعرفتهم الذين يتمنون لي الخير والتوفيق،،،

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصدق من عرف الحب لقلبي، إلى التي أهدتني دمع عينيها ذات مساء، الوحيدة التي تنام في أفكاري، وتضع النقاط على الأبجدية، الوحيدة التي تدون قبلاتها في دفتر أحلامي، وتجعلني سيد البشرية، **إنها أمي الغالية...**

كما أتقدم إليكِ وكلّي فخر وعرفان على ما قدمته من إنجازاتٍ كثيرة طوال مسيرة حياتي، وإنني إذ أُثمن جميع الجهود المبذولة والمفيدة التي لم تبخلي بها يومًا، وما قدمته لي، واليوم يُسعدني أن أشكركِ على هذه الجهود الرائعة، التي أسهمت في الارتقاء في حياتي لتقديم أفضل ما يمكن تقديمه، لذلك يسرني أن أتقدم إليكِ بوافر الشكر الذي تستحقين، **إنها زوجتي الغالية...**

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

إنّ العلم أمر عظيم، لا يمكن تحصيله دفعةً واحدة بل بالجدّ والمثابرة والتدرُّج؛ لذا على الآباء أن يزرعوا في أبنائهم ثمرة حُبّ المعرفة والحكمة منذ الصغر، وتربيتهم على

أخلاق العلماء العقلاء، وإشعارهم بأهميّته وعظمة منزلة العالم بالنسبة للجاهل، قال ﷻ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ القصص: ١٤، فالعلم جزاءٌ وثوابٌ من عند الله ﷻ يُعطى لمن عمل واجتهد وأحسن، وذلك دلالةً على أهميّة منزلته وأثره العميق في ذات الإنسان ومن حوله، وكما قال رسول الله ﷺ: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"[1]، وللعلم مكانةٌ كبيرة في الدّين، وقد أمر الله ﷻ عباده بطلب العلم ورفع درجات العلماء وخصّهم بالأجر والثواب، خصوصًا أولئك الذين يخترعون ما يُفيد البشرية، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨، وهذا دليلٌ على عظم منزلة العلماء وفضلهم على الناس، لهذا جعل الله ﷻ لطالبي العلم مكانة عظيمة، وجعل طلب العلم فريضة، كما سهّل الله ﷻ درب طلّاب العلم وجعله ميسرًا؛ لأنّ طلب العلم من أسمى الأشياء وأكثرها قيمة، فللعلم مكانة دينية ودنيوية ينبغي أن يسعى الجميع لبلوغها، وأن يكونوا ضمن طلبة العلم مهما كان عمرهم وظروفهم، فطلب العلم يكون من المهد إلى اللحد، كما أنّ فضل العالم أكبر من فضل العابد، بل هو مثل فضل القمر ليلة البدر على الكواكب جميعها، فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩، أنَّ العلم

[1] رواه مسلم (4/ 2074).

الشرعيَّ له فَضل عظيم، ومقام عالٍ كريم، عند العليم الرَّحيم؛ لأنَّه لا يمكن تَحقيق الغاية من الخَلق لتي هي العبادة إلَّا به؛ لذلك كان خير عبادة؛ **قال الإمام أحمد:** "العلم لا يَعدله شيء لِمن صحَّت نيَّتُه"[1]، فإن العلم من نعم الله ﷻ التي أنعم الله ﷻ بها علينا، فهو الخير والهداية والبركة والرفعة، مدحه الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، بل أمر نبينا ﷺ بأن يطلب الاستزادة منه، قال ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤، بل وافتتح الله ﷻ به كتابه الكريم وجعله أول ما نزل على نبينا ﷺ وذلك في قوله ﷻ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، فهو النور الذي يُخرِج الناس من ظلمات الجهل وهو الوسيلة الناجحة للبناء والارتقاء، فيجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصًا لوجه الله ﷻ، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، يعني: ريحها"[2]

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

[1] الشرح الممتع على زاد المستنقع (4/ 6).
[2] مسند أحمد (14/ 169)، سنن ابن ماجه (1/ 92).

المبحث الأول

تعريف العلم وفضله وحكم طلبه

أولاً: تعريف العلم:

للعلم تعريفان أحدهما لغوي والآخر اصطلاحي.

العلم في اللغة:

نقيض الجهل، وهو: "إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً"[1]، وذلك لأن الجهل: هو عدم إدراك الشيء على ما هو عليه، **قال العسكري**: "هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة"[2]

وقال بعض أهل العلم: "هو المعرفة، وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف، وقيل: من الصعب تعريف العلم"[3]

أما في الاصطلاح فيُعرّف بمصطلحات كثيرة، وهي كالآتي:

العِلم هو المعرفة، وهو عكس الجهل.

العِلم سلسلة من القوانين المترابطة والأُطر النظرية التي تنتج من المحاولة والملاحظة بشكل مُنتظِم.

العِلم هو النشاط الإنساني الذي يهدف إلى زيادة قُدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة.

---

[1] الأصول من علم الأصول ص 15

[2] الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص 340

[3] مجموع فتاوي ورسائل العثيمين (26/ 11).

العلم مجموعةٌ من النظريّات والوقائع والحقائق، بالإضافة إلى مناهج البحث المتواجدة في جميع المؤلفات العلمية، كما يمكن تعريفه أيضاً بأنه نسق من المعارف العلميّة المتراكمة أو هو عبارة عن مجموعةٍ من القواعد والمبادئ التي من خلالها يتمّ شرح البعض من الظواهر والعلاقة القائمة فيما بينها.

تعريف العلم الشرعي:

هو علم ما أنزل الله ﷻ على النبي ﷺ من الهدى والبيّنات، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزله الله ﷻ فقط قال النبي ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"[1]، وهو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله.

ثانياً: فضل العلم:

لقد مدح الله ﷻ العلم وأهله، وحثَ عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة. فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجلَ العبادات، عبادات التطوع؛ لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله ﷻ، فإن دين الله ﷻ إنما قام بأمرين: أحدهما: العلم والبرهان. والثاني: القتال والسنان، فلا بد من هذين الأمرين، ولا يمكن أن يقوم دين الله ﷻ ويظهر إلا بهما جميعًا، والأول منهما مقدَّم على الثاني، ولهذا كان النبي ﷺ لا يغيُّر على قوم حتى تبلغهم الدعوة إلى الله ﷻ فيكون العلم قد سبق القتال.

[1] رواه البخاري (1/ 24)، رواه مسلم (2/ 718)

ومن فضائل العلم:

1. أنه إرث الأنبياء، فالأنبياء عليهم السلام لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم، فمنْ أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، قال النبي ﷺ: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[1]

2. أنه يبقى والمال يفنى، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه من فقراء الصحابة رضي الله عنهم حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمي عليه، إذ العلم يبقى والمال يفنى، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم، قال النبي ﷺ: "إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[2]

3. أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة؛ لأنه إذا رزقك الله سبحانه وتعالى علمًا فمحله في القلب لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها، هو في القلب محروس، وفي النفس محروس، وفي الوقت نفسه هو حارس لك؛ لأنه يحميك من الخطر بإذن الله عز وجل فالعلم يحرسك، ولكن المال أنت تحرسه تجعله في صناديق وراء الإغلاق، ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه.

4. أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق، والدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨، فيكفيك فخرًا يا طالب العلم أن تكون ممن شهد لله عز وجل أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله سبحانه وتعالى.

---

[1] سنن ابن ماجه (1/ 81)، سنن الترمذي (5/ 48)

[2] رواه مسلم (3/ 1255).

5. أن أهل العلم هو أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله ﷻ بطاعتهم في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩، فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ﷻ ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله ﷻ وإلزام الناس بها.

6. أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله ﷻ حتى تقوم الساعة، ويستدل لذلك بحديث معاوية ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم[1] والله يعطي[2] ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله[3] لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله[4]"[5]

7. أن الرسول ﷺ لم يرغب أحدًا أن يغبط أحدًا على شيء من النعم التي أنعم الله ﷻ بها إلا على نعمتين هما: طلب العلم والعمل به، والتاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالًا فسلطه على هلكته[6] في الحق، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلمها"[7]

8. أنه طريق الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة"[8]

---

[1] أنا قاسم: أقسم بينكم ما أمرت بتبلغيه من الوحي ولا أخص به أحدا دون أحد.
[2] والله يعطي: كل واحد منكم فهما على قدر ما تعلقت به إرادته ﷻ
[3] قائمة على أمر الله: حافظة لدين الله ﷻ الحق وهو الإسلام وعاملة به.
[4] حتى يأتي أمر الله: يوم القيامة
[5] رواه البخاري (1/ 25).
[6] على هلكته: أي إنفاقه في الطاعات
[7] رواه البخاري (9/ 102)، رواه مسلم (1/ 559).
[8] رواه مسلم (4/ 2074).

9. أن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه ﷻ، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

10. أن العالِم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم.

11. أن الله ﷻ يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخرة فإن الله ﷻ يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله ﷻ والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله ﷻ بين عباده بحسب ما قاموا به؛ قال ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

12. أن العلم مهذب للنفوس، سئل سفيان بن عيينة ﷺ عن فضل العلم فقال: "ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩، فأمر بالعمل بعد العلم"[1]

13. أنه يورث الخشية من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨

14. قدَّم ﷻ العلمَ على الإيمان؛ لأنَّ الإيمان الصَّحيح لا يكون إلَّا بالعلم الصَّحيح، ووصف أهلَ العلم بالثَّبات يوم القيامة وبأنَّهم كانوا على الحقِّ في الدنيا؛ قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦

[1] الكشاف للزمخشري (4/ 324)، تفسير القرطبي (16/ 242).

15. أنَّ الملائكة تحبُّ أهلَ العلم وتَضع أجنحتَها لهم في الطُّرق والمسالك؛ إكرامًا لهم وإجلالًا، قال ﷺ: "وإنَّ الملائكة لتَضَع أجنحتَها لطالب العلم"[1]

16. يرفعُ العلمُ صاحبه عند الله ﷻ وعند النّاس، ونفسه كذلك؛ لكونِ مرتبة العلم من أعلى الرُّتَب، يعلو به صاحبه ويُعَزّ، فمن أراد عزّ الدّنيا والآخرة مجتمعتين فعليه بانتهاج درب العلم، قال ﷺ: "ما أعزَّ الله بجهلٍ قطّ، ولا أذلَّ بعلمٍ قطّ"[2]

17. العلم نور للبصيرة، إنه نور يبصر به المرء حقائق الأمور، وليس البصر بصر العين، ولكن بصر القلوب، قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦؛ ولذلك جعل الله ﷻ الناس على قسمين: إمَّا عالم أو أعمى, فقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد: ١٩

18. العلم أفضل الجهاد، إذ من الجهاد، الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء، وهو أعظم منفعة من الجهاد باليد واللسان، لشدة مؤنته، وكثرة العدو فيه، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان: ٥١ – ٥٢، **يقول ابن القيم** ﷺ: "فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما

[1] مسند أحمد (30/ 23)، سنن الدارمي (1/ 370)، سنن الترمذي (5/ 545)، المعجم الكبير للطبراني (8/ 63)، السنن الكبرى للبيهقي (1/ 415)، شعب الإيمان (3/ 220).
[2] مسند الشهاب القضاعي (2/ 5)

كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴿٩﴾ ﴾ التحريم: ٩، ومعلوم أنَّ جهاد المنافقين بالحجة والقرآن، والمقصود أنَّ سبيل الله ﷻ هي الجهاد وطلب العلم، ودعوة الخلق به إلى الله ﷻ"[1]، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره"[2]

19. العلم مقدم على العبادة، فإنَّ فضلاً في علم خير من فضل في عبادة، ومن سار في درب العلم سهل عليه طريق الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله أوحى إليَّ: أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة وفضل في علم خير من فضل في عبادة وملاك الدين الورع"[3]

20. العلم والفقه في الدين أعظم منة، ومن رزق فقهًا في الدين فذاك الموفق على الحقيقة، فالفقه في الدين من أعظم المنن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[4]

---

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 70).
[2] سنن ابن ماجه (1/ 82).
[3] الصحيح الجامع الصغير (1/ 357).
[4] رواه البخاري (1/ 24)، رواه مسلم (2/ 718)

21. العلم يُزكي صاحبه ويُعلي من شأنه، قال ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

آل عمران: ١٨

يقول ابن القيم رضي الله عنه: "وهذه الآية تدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

١. استشهادهم دون غيرهم من البشر.

٢. اقتران شهادتهم بشهادتهِ ﷻ.

٣. اقترانُها بشهادة الملائكة.

٤. إنَّ في ضمن هذا: تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله ﷻ لا يستشهد من خلقه إلا العدول، وقد جاء في الحديث: "يحملُ هذا العلمَ من كل خلَفٍ عُدُولهُ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[1]"

٥. أنه ﷻ استشهد بنفسه وهو أجلُّ شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

٦. أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهودٍ به وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابرَ الخلقِ وساداتهم"[2]

22. العلم نورٌ وهاج في قلب صاحبه يكشف له عن حقائق الأمور، بخلاف أهل الجهل فهم بمنزلة العميان:

---

[1] مسند البزار (16/ 247).
[2] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 48)

قال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد: ١٩، **يقول ابن القيم** ﷺ: "جعل ﷻ أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد: ١٩، فما ثم إلا عالم أو أعمى، وقد وصف ﷻ أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه"[1]

فالعلمُ حياة القلوبِ من العمى، وقوة للأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، وهو إمام للعمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.

23. العلم يرفع صاحبه في أعلى الدرجات والمراتب بعد الأنبياء، قال ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١، **قال القرطبي**: "وقوله ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع الله ﷻ المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم، قال ابن مسعود ﷺ: "مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى: أنه

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 49).

يرفع الله ﷻ الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم "درجات" أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به"[1]

ويقول ابن القيم ﷺ: "أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوبُ، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما ﷻ في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦، وقوله ﷻ: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١"[2]

24. لا يستوي أهل العلم بغيرهم في الفضل والمكانة، قال ﷻ: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩، **قال ابن القيم** ﷺ: "إنه ﷻ نفى التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم، كما نفي التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فقال ﷻ: ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحشر: ٢٠، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم"[3]

25. العلم يُنير بصيرة صاحبه، ويجعله الله ﷻ حجة على المعاندين المكذبين، **قال ابن القيم** ﷺ: "أخبر ﷻ عن أولي العلم بأنهم يرون ما أ نزل إليه من ربه حقاً، وجعل هذا ثناءً عليهم واستشهاداً بهم"[4]

---

[1] تفسير القرطبي (17/ 299).
[2] الفوائد لابن القيم ص 103
[3] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 49).
[4] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 49).

وقال السعدّيُ: " لما ذكر الله ﷻ إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ﷺ ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهلُ العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، منحصر فيه، وما خالفه وناقضه فإنه باطلٌ، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين. وهذه منقبة لأهلِ العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبدُ أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول ﷺ، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله ﷻ حُجة على ما جاء به الرسول ﷺ واحتج الله ﷻ بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية، وغيرها"[1]

26. العلم أول وأعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده، قال ﷻ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ – ٥، **يقول ابن كثير:** "أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله ﷻ بها العباد، وأول نعمة أنعم الله ﷻ بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه ﷻ أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي،

[1] تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 675

والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ – ٥"[1]

27. العلم هو الوحيد التي طلب ا للهُ ﷻ من رسوله ﷺ التزود منه، فقال ﷻ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤ ﴾ طه: ١١٤، **قال القرطبي**: "فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يسأله المزيد كما أمر أن يستزيده من العلم"[2]، **وقال ابن القيم** رضي الله عنه: "إن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يسأله مزيد العلم، وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه"[3]

28. العلم حياة للقلوب، ونور للأبصار، فحياة الإنسان روحها العلم، وهذه هي الحياة الحقيقية، قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾ الشورى: ٥٢، فأخبر الله ﷻ بأن العلم روح تحصل به الحياة، فجمع العلم بين الأصلين الحياة والنور، كما قال ﷻ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢ ﴾ الأنعام: ١٢٢

---

[1] تفسير ابن كثير (8/ 422).
[2] تفسير القرطبي (4/ 41)
[3] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 50).

قال ابن القيم رضي الله عنه: "إن العلمَ حياة ونورٌ، والجهل موتٌ وظلمة، والشرُّ كلُّه سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور والحياة، فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء، ويبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفاتِ الكمالِ، والموجبة لتسديد الأقوالِ والأفعالِ والأعمالِ، وكل ما تصرف من الحياة فهو خير كله، كالحياءِ، الذي سببه كمال حياةِ القلبِ وتصوره حقيقة القبحِ ونفرته منه، وضده الوقاحة والفحش، وسببه موت القلبِ، وعدم نفرته من القبيح، وكالحياء الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء, قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ كان ميتاً بالجهل قلبه فأحياه بالعلم، وجعل له من الإيمان نوراً يمشي به في الناس"[1]

ثالثاً: حكم طلب العلم:

طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجبًا على الإنسان عينًا أي فرض عين، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله عز وجل بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي.

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 53 – 54).

ويجدر الإشارة إلى أنّ الحكم الشرعي للعلم يصدق على جميع أنواع الأحكام التكليفية الخمسة التي هي الفرض والسنّة والاستحباب أو الندب والإباحة والكراهية والتحريم، وفيما يلي بيان شيءٍ من تلك الأحكام:

1. طلب العلم فرض عين: يكون طلب العلم فرضَ عينٍ على جميع المكلّفين، فيجب على كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ أن يسعى إلى تحصيل تلك العلوم والإلمام بها، فإن قصَّر في ذلك أُثِم شرعاً، ويصدُق ذلك بحق العلوم التي يجب على كل مسلم معرفتها؛ كعلوم الشريعة التي تتعلّق بأحكام العبادات؛ كالصلوات والزكاة والحج والطهارة وأحكام الصيام وما يتعلق بالبيع والشراء، فهذا النوع من العلوم لا تستقيم عبادة المسلم لربه ﷻ دون معرفته به.

2. طلب العلم فرضٌ على الكفاية: ويصدق ذلك على العلوم التي تكون الأمة الإسلامية بحاجةٍ لها ولا تستقيم أمور الحياة إلا بها، فإذا تعلمها فئة من الناس (حتى اكتفت الأمة بهم) سقط الحكم عن الباقين، وإن لم تكتفِ الأمة بمن تعلَّم تلك العلوم واحتاجت لغيرهم أُثِم الجميع حتى يصل الحد بالأمة في تلك العلوم إلى درجة الكفاية، وتلك العلوم مثل: علم الطب والصيدلة ومعرفة أحكام الإرث والوصايا، **قال ابن عبد البر**: "قد أجمع العلماء على أنّ من العلم ما هو فرض عين متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع"[1]

[1] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص 10

وقال ابن تيمية رضي الله عنه: "وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان"[1]

3. طلب العلم مندوبٌ شرعاً: ويكون ذلك في باقي العلوم التي تعتبر مكملةً للعلوم المفروضة؛ كعلم الفقه الذي من خلاله يتعلّم المسلم ما يتعلق بالشرائع وكيفية استخراج الأحكام من الأدلة النقليّة، أو علم الأصول والتفسير وغير ذلك من العلوم الشرعية.

4. طلب العلم محرّمٌ شرعاً: ويصدق ذلك في حق بعض العلوم والمعارف التي تؤدي إلى إلحاق الضرر بالناس؛ كتعلُّم السحر والعرافة والدجل والكهانة وغير ذلك.

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (28/ 80).

المبحث الثاني

آداب طالب العلم

إن لطلب العلم جملةً من الآداب ينبغي على من طلب العلم أن يتحلى بها، فإليك هذه الوصايا والآداب في طريق الطلب لعل الله ﷻ أن ينفعك بها:

الأدب الأول: تحرير المقصد والنية في الطلب:

فلا خلاص لمن لا إخلاص له، فإخلاص العمل لله ﷻ شرط لقبول أي عمل تعبدي يقوم به الإنسان نحو ربه ﷻ، قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠

وصفة الإخلاص في طلب العلم أن يكون الغرض من طلب العلم ابتغاء مرضاة الله ﷻ، والقيام بالواجبات الشرعية الخاصة والعامة على الوجه الذي شرعه الله ﷻ وأمر به، وينوي رفع الجهل عن نفسه وعن الآخرين؛ لتكون كلمة الله ﷻ هي العليا، ويحذر من طلب العلم سمعة ورياء ليقال عنه عالم، ولا يطلبه ليحصل الشرف أو ليتصدَّر به المجالس، ولا من أجل المال وحطام الدنيا، ولا من أجل أن يصرف إليه وجوه الناس، فإن أصيب طالب العلم بشيء من ذلك فعلمه مردود، وعبادته لا تقبل، وطلبه للعلم وبالاً عليه وشقاء، قال رسول الله ﷺ: "من تعلَّم علماً مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم

القيامة"[1]، وقال ﷺ: "لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، ولا تخيرَّوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار"[2]

والإخلاص في طلب العلم شرط تتابعي لا ابتدائي، فيحرص طالب العلم على متابعة الإخلاص في نفسه، ولا يمتنع عن الطلب بدعوى أنه لم يحقق الإخلاص، فلابد أن يكون حسن نية عند طلبه للعلم، وأن يخلص النية لله ﷻ، وأن يقصد وجه الله ﷻ، فالله ﷻ يحث على العلم ويرغب فيه، قال ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

الزم الإخلاص في عملك، وليكن قصدك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، وإياك والرياء، وحب الظهور والاستعلاء على الأقران، وبالجملة: عليك بطهارة الظاهر والباطن من كل كبيرة وصغيرة.

فلابد أن تبتغي بعلمك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، لا أن تبتغي به الرياء، أو السمعة، أو عرضاً من الدنيا، **قال ابن جماعة:** "حسن النية في طلب العلم أن يقصد به وجه الله ﷻ، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله ﷻ يوم القيامة، والتعرض لما أعده لأهله من رضوانه وعظيم فضله، ولا يقصد به الأغراض الدنيوية مثل تحصيل الرياسة والجاه، ومباهاة الأقران ونحو ذلك"[3]

---

[1] مسند أحمد (14/ 169)، سنن ابن ماجه (1/ 92)
[2] سنن ابن ماجه (1/ 93)، صحيح ابن حبان (1/ 278)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 161).
[3] تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص 68

وقال ابن القيم رضي الله عنه: "المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية، ونية صحيحة، فمن فقدها تعذر عليه الوصول إليه، وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه: فالنية تفرد له الطريق، والهمة تفرد له المطلوب، وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقه غير موصلة إليه، فمدار الشأن على همة العبد ونيته، وهما مطلوبه وطريقه"[1]

الإخلاص في طلب العلم شرط تتابعي، لا ابتدائي، ومعنى ذلك أنَّ طالب العلم يحرص على متابعة الإخلاص في نفسِه، ولا يمتنع عن الطلب بدعوى أنه لم يتحقق لديه الإخلاص.

الأدب الثاني: الصبر والمصابرة:

إن طلب العلم من معالي الأمور، والعُلَى لا تُنال إلا على جسر من التعب، فالوصول إلى الأهداف السامية لا ينال إلا بركوب قمة المشقات، وتجرع غصص الآلام؛ لكي تحقق الآمال.

أيها الطالب، الصبر زادك في هذا الطريق، وفضائل الصبر قد ملأت كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه، فاصبر وجاهد نفسك وسوف ترى نتيجة صبرك بعد حين، فاصبر وصابر، فلئن كان الجهاد ساعةً من صبر، فصبر طالب العلم إلى نهاية العمر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠، فيجب أن يكون طالب العلم صابراً ومثابراً عليه لا يقطعه أبداً ولا يمل منه، بل لابد أن يكون مستمراً في تعلمه بقدر

[1] الفوائد لابن القيم ص 144

المستطاع، وليصبر على طلب العلم، وإذا بقي الإنسان مثابراً وصابراً على طلبه للعلم فإنه ينال أجر الصابرين، والعلم لا يطلب إلا بالصبر، **قال الشافعي** رضي الله عنه: "لا يدرك العلم إلا بالصبر على الضر"[1]

فالعلم لابد له من صبر ومصابرة لكي يدرك وتحصل عليه، **قال ابن الجوزي** رضي الله عنه: "تأملت عجباً، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرفَ الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقتَ بيعها وقتُ سماع الدروس"[2]، وحلاوة العلم في التعب وليس أن يأتي بالراحة دون تعب، **قال مصطفى صادق الرافعي**: "ليست اللذة في الراحة ولا الفراغ، ولكنها في التعب والكدح والمشقة حين تتحول أيامًا إلى راحة وفراغ"[3]

وقال السعدي: "كلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصَل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عز وجل عند توطين النفس لها وتمرينها عليها ومعرفة ما تئول إليه تنقلب عند أرباب البصائر مِنَحاً يسرون بها ولا يبالون بها، وذلك فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء"[4]، **قال ابن الجوزي** رضي الله عنه: "من صبر على ما يكرَه قَصْدَ النفع في العاقبة التذَّ أضعافاً، كطالب العلم فإنه يتعب يسيراً وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة، ولذةُ البطالة تعقب عدم العلم والعمل فيزيد الأسى على

---

[1] الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (2/ 186).
[2] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 281
[3] من وحي القلم للرافعي (1/ 44)
[4] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 150

اللذة أضعافاً، فالله الله أن يغلبك هواك العاجل، ومتى هم الهوى بالتوثب فامنعه وزن عاجله بآجله، وما يتذكر إلا أولو الألباب"[1]

الأدب الثالث: العمل بالعلم:

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ الصف: ٢ - ٣

قال علي بن أبي طالب ﷺ: "هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل"[2]، **وقال مالك بن دينار** ﷺ: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه تزلّ موعظته عن القلوب كما يزلّ القطر عن الصفا"[3]، **قال الخطيب البغدادي**: "إنِّي موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، وقيل: العلم والد، والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم، ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قلّ نصيبك منهما"[4]

وقد توعد الله ﷻ من ترك العمل بالعلم بعقوبة شديدة فعن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه يعنى أمعاءَه فيدور بها كما يدور الحمارُ برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا

[1] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 489
[2] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (17/ 20).
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 288).
[4] اقتضاء العلم والعمل للخطيب البغدادي ص 14

فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه"[1]

فيا لهُ من موقف عظيم تعلن فيه الأسرار وتشهر فيه الأخبار فيظهر للخلق ما أضمرت ويُبدى ما أخفيت ويُكشف ما أكننت فالسر يومئذ علانية فمن طوى قلبه على البر والإحسان فاز برضا الله ﷻ ومن طواه على الفسق والعصيان والكفران فضحه الله ﷻ، فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن شبابه فيم أبلاه"[2]

وقد أدرك الصحابة ﷺ هذا المعنى فهذا أبو الدرداء ﷺ يقول: "إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوَني على رؤوس الخلائق فيقولَ لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربي فيقول: ما عملت فيما علمت"[3]، وقال أيضاً ﷺ: "لن تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً"[4]

فالعمل بالعلم من أبرز ما يبلغ الرجالَ منازل الربانيين، فالرباني هو الذي علم وعمل وعلّم، فإن العالم العامل هو من كان بعلمه عاملاً ولعلمه معلماً، **قال الحسن البصري** ﷺ في وصف العالم الرباني: "هذا حبيب الله ﷻ، هذا ولي الله ﷻ، هذا صفوة الله ﷻ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ﷻ، أجاب الله ﷻ في دعوته، ودعا

---

[1] رواه البخاري (4/ 121)
[2] سنن الدارمي (1/ 452)، سنن الترمذي (4/ 612).
[3] شعب الإيمان (3/ 302).
[4] سنن الدارمي (1/ 336)

الناس إلى ما أجاب الله ﷻ فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته، وقال إنني من المسلمين فهذا خليفة الله ﷻ"[1]

والعمل بالعلم سبب لتحصيل الحسنات ورفع الدرجات لذا قرن الله ﷻ بين الإيمان والعمل في كثير من النصوص، قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ ﴾ المائدة: ٩، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ ﴾ البروج: ١١

أن المنزلة السامية، والثواب العظيم لطالب العلم، لا يكون إلا لمن عمل بعلمه، ومن هنا وجب إتباع العلم بالعمل.

فلابد أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا، وآدابًا، ومعاملة؛ لأن هذا هو ثمرة العلم، وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه إما له وإما عليه، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "القرآن حجة لك أو عليك"[2]، لك إن عملت به وعليك إن لم تعمل به، وكذلك يكون العمل بما صح عن النبي ﷺ بتصديق الأخبار، وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ﷻ ورسوله ﷺ فصدقه وخذه بالقبول والتسليم ولا تقل: لِمَ؟ وكيف؟ فإن هذا طريقة غير المؤمنين، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ الأحزاب: ٣٦

[1] تفسير الطبري (20/ 429)
[2] رواه مسلم (1/ 203).

الأدب الرابع: تزكية النفس وتربيتها على الفضائل:

ولذا كانوا يقولون الأدب قبل الطلب، ويقصد بذلك طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات ومنها الكبر والحسد والكذب والخيانة والبخل؛ لأن أدب النفس قبل أدب الدرس، **قال يوسف بن الحسين**[1]: "بالأدب تفهم العلم"[2]، **وقال مالك بن أنس** ﷺ لفتى من قريش: "يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم"[3]، وهذا إنما يؤخذ بالقدوة.

قال ابن قدامَة: "فأما علم المعاملة، وهو علم أحوال القلب، كالخوف، والرجاءِ، والرضا، والصدق، والإخلاص، وغير ذلك، فهذا العلم ارتَفع به كبار العلماءِ، وبتحقيقه اشتهرت أذكارهم كسفيان، وأبي حنيفَة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإنما انحطت رتبة المسمين بالفقهاءِ والعلماءِ عن تلك المقامات؛ لتشاغلهم بصور العلم، من غير أخذ على النفس أن تبُلغ إلى حقائقه، وتعمل بخفاياه"[4]

الأدب الخامس: الدفاع عن الشريعة:

وهو أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة الإسلامية، فإن الكتب لا يمكن لها أن تدافع عن الشريعة، ولكن الذي يستطيع أن يدافع عن الشريعة الإسلامية حامل الشريعة، فعلى طالب العلم أن ينوى بطلب العلم الدفاع عن الشريعة؛ لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا برجالها كالسلاح تمامًا.

---

[1] يوسف بْن الحسين بْن عَلِيّ أَبُو يَعْقُوب الرازي من مشايخ الصوفية، شيخ الري والجبال في وقته وكان عالماً أديباً، مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

[2] اقتضاء العلم والعمل للخطيب البغدادي ص 31، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (10/ 239).

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 330).

[4] مختصر منهاج القاصدين ص 18

الأدب السادس: رحابة الصدر في مسائل الخلاف:

يجب أن يكون طالب العلم صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد؛ لأن مسائل الخلاف بين العلماء إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر فيها واضحاً، فهذه لا يعذر أحد بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال، فهذه يعذر فيها من خالفها، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها، لأننا لو قبلنا ذلك لقنا بالعكس قوله حجة عليك، أما مسائل العقيدة من خالف فيها فلا يقبل من أحد مخالفة؛ لأن العقيدة لا خلاف فيها وهذا طريق السلف الصالح في العقيدة.

إذن فالواجب على طلبة العلم أن يكونوا يدًا واحدة، ولا يجعلوا مثل هذا الخلاف سببًا للتباعد والتباغض، بل الواجب إذا خالفت صاحبك بمقتضى الدليل عندك، وخالفكم هو بمقتضى الدليل عنده أن تجعلوا أنفسكم على طريق واحد، وأن تزداد المحبة بينكما.

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة، حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يُراد بها وجه الله ﷻ والوصول إلى العلم، وبهذا تحصل الألفة، ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر، قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴿٤٦﴾ الأنفال: ٤٦

الأدب السابع: الحكمة:

أن يكون متحليًا بالحكمة، حيث يقول ﷻ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩، والحكمة أن يكون طالب العلم مربيًا لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعو إليه من دين الله ﷻ بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير.

والحكيم هو: الذي ينزل الأشياء منازلها؛ لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيمًا في دعوته.

ولقد ذكر الله ﷻ مراتب الدعوة في قوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، وذكر الله ﷻ مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦، فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول، ومثال ذلك في دعوة الرسول ﷺ جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد، فقام إليه الصحابة ﷺ يزجرونه، فنهاهم النبي ﷺ ولما قضى بوله دعاه النبي ﷺ وقال له: "إن هذه

المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن"[1]

فيجب على طالب العلم أن يكون مربياً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وهذا يعتبر من الحكمة، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبما يليق بحالهم.

الأدب الثامن: الدعوة إلى الله ﷻ:

أن يكون داعيًا بعلمه إلى الله ﷻ يدعو في كل مناسبة في المساجد، وفي المجالس، وفي الأسواق وفي كل مناسبة، هذا النبي ﷺ بعد أن آتاه الله ﷻ النبوة والرسالة ما جلس في بيته بل كان يدعو الناس ويتحرك، وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نسخًا من كتب، ولكني أريد منهم أن يكونوا علماء عاملين.

فيوظف هذا العلم في الدعوة إلى الله ﷻ على هدى وبصيرة، قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨، فالداعية لا بد وأن يستغل كل مناسبة ويدعو إلى الله ﷻ في شتى الميادين في المسجد وفي المدرسة وفي المعهد وفي السوق وفي الأعياد والمناسبات، ولقد حث الرسول ﷺ على نشر العلم ورغبنا فيه، فعَن أنس بْن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[2]

---

[1] رواه مسلم (1/ 236).
[2] سنن ابن ماجه (1/ 86)

الأدب التاسع: احترام العلماء وتقديرهم:

قال ﷺ: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لِعَالِمنا حقه"[1]، وحقوقهم إجمالاً حبهم وتوقيرهم وتقديرهم والأخذ عنهم والدعاء لهم والذب عنهم والأدب معهم في التعلم والسؤال.

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلًا خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جدًا؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال؛ فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء"[2]

إن للعلم والعلماء مكانة في الدين لا تنكر، وفضل كبير لا يكاد يحصر، **قال ابن القيم** رضي الله عنه: "العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب"[3]

---

[1] مسند أحمد (5/ 323)
[2] جامع بيان العلم وفضله (1/ 578)
[3] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (1/ 8)

وتوقير العلم والعلماء؛ من إجلال الله ﷻ، وتعظيم شريعته، وامتثال أمره، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط"[1]

الأدب العاشر: التمسك بالكتاب والسنة:

يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها، وهي:

أولاً: القرآن الكريم: فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءة وحفظًا وفهمًا وعملاً به، فإن القرآن هو حبل الله ﷻ المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف ﷺ يحرصون عليه غاية الحرص فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن، فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر، وفي هذا دلالة على حرص السلف ﷺ على القرآن، فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد أحد المعلمين؛ لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي.

وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، بل بعضهم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم.

لذلك يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن، والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهمًا مطابقًا لفهم السلف الصالح.

ثانياً: السنة الصحيحة: فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية، وهي الموضحة للقرآن الكريم، فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما، وعلى

[1] شعب الإيمان للبيهقي (13/ 358).

طالب العلم حفظ السنة، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدها ومتونها وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل الباع في السنة.

فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسنة الصحيحة، وهما له- أي طالب العلم- كالجناحين للطائر إذا انكسرا لم يطر.

لذلك لا تراعي السنة وتغفل عن القرآن، أو تراعي القرآن وتغفل عن السنة، فكثير من طلبة العلم يعتني بالسنة وشروحها ورجالها، ومصطلحاتها اعتناءًا كاملاً، لكن لو سألته عن آية من كتاب الله ﷻ لرأيته جاهلاً بها، وهذا خطأ كبير، فلابد أن يكون الكتاب والسنة جناحين لك يا طالب العلم.

ثالثاً: أقوال العلماء واجتهادهم: فلا تهمل كلام العلماء ولا تغفل عنه؛ لأن العلماء أشد رسوخًا منك في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وأسرارها وضوابطها ما ليس عندك، ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح عندهم قول، يقولون: إن كان أحد قال به وإلا فلا نقول به، فمثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه على علمه وسعة اطلاعه إذا قال قولاً لا يعلم له قائلاً قال: "أنا أقول به إن كان قد قيل به"، ولا يأخذ برأيه.

لذا يجب على طالب العلم الرجوع إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وأن يستعين بكلام العلماء.

والرجوع إلى كتاب الله ﷻ يكون بحفظه وتدبره والعمل على ما جاء به؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩

نزل هذا القرآن لهذه الحكمة، وإذا كان نزل لذلك فلنرجع إلى الكتاب لنتدبره ولنعلم معانيه، ثم نطبق ما جاء به، ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٣ – ١٢٤، ولهذا لا تجد أحدًا أنعم بالاً، ولا أشرح صدرًا، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبدًا، حتى وإن كان فقيرًا، فالمؤمن أشد الناس انشراحًا، وأشد الناس اطمئنانًا، وأوسع صدرًا، واقرؤوا إن شئتم قول الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

والحياة الطيبة هي انشراح الصدر وطمأنينة القلب، حتى ولو كان الإنسان في أشد بؤس، فإنه مطمئن القلب منشرح الصدر، قال النبي ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[1]

[1] رواه مسلم (4/ 2295).

الأدب الحادي عشر: التثبت والثبات:

ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تتثبت أولًا هل صحت عمن نقلت إليه أو لا، ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيًا على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ.

والتثبت أمر مهم؛ لأن الناقلين تارة تكون لهم نوايا سيئة، ينقلون ما يشوه سمعته المنقول عنه قصدًا وعمدًا، وتارة لا يكون عندهم نوايا سيئة ولكنهم يفهمون الشيء على خلاف معناه الذي أريد به، ولهذا يجب التثبت، فإذا ثبت بالسند ما نُقل أتى دور المناقشة مع صاحبه الذي نقل عنه قبل أن تحكم على القول بأنه خطأ أو غير خطأ، وذلك لأنه ربما يظهر لك بالمناقشة أن الصواب مع هذا الذي نُقل عنه الكلام.

والخلاصة أنه إذا نقل عن شخص ما، ترى أنه خطأ فاسلك طرقاً ثلاثة على الترتيب:

الأول: التثبت في صحة الخبر.

الثاني: النظر في صواب الحكم، فإن كان صوابًا فأيده ودافع عنه، وإن رأيته خطأ فاسلك الطريق الثالث وهو: الاتصال بمن نسب إليه لمناقشته فيه وليكن ذلك بهدوء واحترام.

الأدب الثاني عشر: الحرص على فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ:

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم، أي فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ؛ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ولكن لم يؤتوا فهمًا، فلا يكفي أن تحفظ كتاب الله ﷻ وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم، فلابد أن تفهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ ما أراده الله ﷻ ورسوله ﷺ، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ﷻ ورسوله ﷺ فحصل بذلك الضلال.

وهنا أنبّه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطرًا بالجهل؛ لأن الجاهل الذي يخطىء بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطأ يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فأقول لطلبة العلم: "إن قضية الفهم قضية مهمة، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله ﷻ من عباده؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر؟!

ولا شك أن الله ﷻ يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر.

فهذه بعض آداب مما ينبغي لطالب العلم أن يكون متأثرًا بها في علمه حتي يكون قدوة صالحًا وحتى يكون داعياً إلى الخير وإمامًا في دين الله ﷻ فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، كما قال ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤

المبحث الثالث

الأسباب المعينة على طلب العلم

أولاً: التقوى:

وهي وصية الله ﷻ للأولين والآخرين من عباده، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ النساء: ١٣١، وهي أيضًا وصية الرسول ﷺ لأمته، فعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: "اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم"[1]، وكان ﷺ إذا بعث أميرًا على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ﷻ وبمن معه من المسلمين خيرًا.

ولم يزل السلف الصالح رضي الله عنهم يتواصون بها في خطبهم ومكاتباتهم ووصاياهم عند الوفاة؛ كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبدالله: "أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه؛ ومن شكره زاده"[2]، وأوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلًا فقال: "أوصيك بتقوى الله ﷻ الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة"[3]

كتب ابن السماك إلى أخ له في الله ﷻ: "أما بعد... أوصيك بتقوى الله ﷻ الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله ﷻ من بالك على كل

---

[1] سنن الترمذي (2/ 516).
[2] تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 366).
[3] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 100).

حال في ليلك ونهارك، وخف الله ﷻ بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك وليكثر وجلك والسلام"[1]

ومعنى التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه.

وتقوى العبد ربه ﷻ: أن يجعل بينه وبين من يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك، بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

واعلم أن التقوى أحيانًا تقترن بالبر، فيقال: بر وتقوى كما في قوله ﷻ:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢، وتارة تذكر وحدها فإن قرنت بالبر صار البر فعل الأمر، والتقوى ترك النواهي، وإذا أفردت صارت شاملة نعم فعل الأمر واجتناب النواهي، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه أن الجنة أعدت للمتقين، فأهل التقوى هم أهل الجنة، ولذلك يجب على المسلم أن يتقي الله ﷻ امتثالًا لأمره، وطلبًا لثوابه، والنجاة من عقابه، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنفال: ٢٩، وهذه الآية فيها ثلاث فوائد مهمة:

الفائدة الأولى: ﴿ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾: أي يجعل لكم ما تُفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله ﷻ على المسلم

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 206).

من العلوم ما لا يفتح لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولهذا يذكر عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولا شك أن المسلم كلما ازداد علمًا ازداد معرفة وفرقانًا بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله عز وجل على المسلم من الفهم؛ لأن التقوى سبب لقوى الفهم، وقوة يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله عز وجل يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما أتاه الله سبحانه وتعالى من الفهم.

الفتوى سبب لزيادة الفهم، ويدخل في ذلك أيضًا الفراسة، أن الله سبحانه وتعالى يعطي المتقي فراسة يميز بها حتى بين الناس.

فبمجرد ما يرى المسلم يعرف أنه كاذب أو صادق، أو بر أو فاجر حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره، ولم يعرف عنه شيئًا بسبب ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من الفراسة.

الفائدة الثانية: ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾: وتكفير السيئات يكون بالأعمال الصالحة، فإن الأعمال الصالحة تكفر الأعمال السيئة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما"[2]، فالكفارة تكون

[1] رواه مسلم (1/ 209).
[2] رواه البخاري (3/ 2)، رواه مسلم (2/ 983).

بالأعمال الصالحة، وهذا يعني أن المسلم إذا اتقي الله ﷻ سهل له الأعمال الصالحة التي يكفّر الله ﷻ بها عنه.

الفائدة الثالثة: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بأن ييسركم للاستغفار والتوبة، فإن هذا من نعمة الله ﷻ على العبد أن ييسر للاستغفار والتوبة.

ثانيًا: المثابرة والاستمرار على طلب العلم:

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه، وأن يحفظ به بعد تحصيله، فإن العلم لا ينال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثاب على ذلك، قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة"[1]، فليثابر طالب العلم، ويجتهد، ويسهر الليالي، ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

وللسلف الصالح ﷺ قضايا مشهورة في المثابرة على طلب العلم، فعن ابن عباس ﷺ أنه سئل بما أدركت العلم؟ قال: "بلسان سؤول، وقلب عقول، وبدن غير كسول"[2]، وعنه أيضًا ﷺ قال: "إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه – وهو قائل– فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث"[3]، فابن عباس ﷺ تواضع للعلم فرفعه الله ﷻ به.

وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يثابر المثابرة الكبيرة، ويروى أيضًا عن الشافعي ﷺ أنه استضافه الإمام أحمد ﷺ ذات ليلة فقدم له العشاء، فأكل الشافعي ﷺ ثم

---

[1] سنن الترمذي (5/ 28).
[2] فيض القدير (2/ 569).
[3] سنن الدارمي (1/ 467)

تفرق الرجلان إلى منامهما، فبقي الشافعي ﷺ يفكر في استنباط أحكام من حديث، وهو قول النبي ﷺ: "يا أبا عمير ما فعل النغير"[1]

وأبو عمير كان معه طائر صغير يسمى النغير، فمات هذا الطائر فحزن عليه الصبي، وكان النبي ﷺ يداعب الصبيان ويكلم كل إنسان بما يليق به، فظل طول الليل يستنبط من هذا الحديث.

ويقال: إنه استنبط منه أكثر من ألف فائدة، ولعله إذا استنبط فائدة جر إليها حديث آخر، وهكذا حتى تتم؛ فلما أذن الفجر قام الشافعي ﷺ ولم يتوضأ ثم انصرف إلى بيته، وكان الإمام أحمد ﷺ يثني عليه عند أهله.

فقالوا له: يا أبا عبد الله كيف تثني على هذا الرجل الذي أكل فشرب ونام ولم يقم، وصلى الفجر بدون وضوء؟

فسأل الإمام الشافعي ﷺ فقال: "أما كوني أكلت حتى أفرغت الإناء فذلك لأني ما وجدت طعامًا أطيب من طعام الإمام أحمد ﷺ فأردت أن أملأ بطني منه، وأما كوني لم أقم لصلاة الليل فإن العلم أفضل من قيام الليل، وقد كنت أفكر في هذا الحديث، وأما كوني لم أتوضأ لصلاة الفجر فكنت على وضوء من صلاة العشاء، ولا يحب أن يكلفهم بماء الوضوء"[2]

إن المثابرة في طلب العلم أمر مهم، ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نثابر ولا نيأس؛ فإن اليأس معناه سد باب الخير، وينبغي لنا ألا نتشاءم بل نتفاءل وأن نعد أنفسنا خيرًا.

---

[1] رواه البخاري (8/ 30)

[2] مجموع فتاوي ورسائل العثيمين (26/ 120).

ثالثًا: الحفظ:

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة وضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره، أو كتابته، فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرير ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه.

العلم صيد والكتابة قيده فقيد صيودك بالحبال الواثقة فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة ومن الطرق التي تعين على حفظ العلم وضبطه: أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧، وقال ﷻ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴿٧٦﴾ ﴾ مريم: ٧٦، فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله ﷻ حفظًا وفهمًا، لعموم قوله ﷻ: ﴿ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧

رابعًا: ملازمة العلماء:

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله ﷻ ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوا في كتبهم؛ لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف من جلس إلى عالم يبين له، ويشرح له، وينير له الطريق، وأنا لا أقول: إنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشايخ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة لكن الغالب أنه إذا ما أكب أكبابًا تامًا ليلاً ونهارًا ورزق الفهم فإنه قد يخطئ كثيرًا؛ ولهذا يقال: "من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه."، ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة.

ولكن الطريقة المثلى أن يتلقى العلم على المشايخ، وأنا أنصح طالب العلم أيضًا ألا يتلقف من كل شيخ في فن واحد، مثل أن يتعلم الفقه من أكثر من شيخ؛ لأن العلماء يختلفون في طريقة استدلالهم من الكتاب والسنة، ويختلفون في آرائهم، أيضاً فأنت تجعل لك عالماً تتلقى علمه في الفقه أو البلاغة وهكذا، أي تتلقى العلم في فن واحد من شيخ واحد، وإذا كان الشيخ عنده أكثر من فن فتلتزم معه؛ لأنك إذا تلقيت علم الفقه مثلاً من هذا وهذا واختلفوا في رأيهم فماذا يكون موقفك وأنت طالب؟ يكون موقفك الحيرة والشك، لكن التزامك بعالم في فن معين فهذا يؤدي إلى راحتك.

المبحث الرابع

الأخطاء التي يرتكبها بعض طلبة العلم

أولاً: الحسد:

وهو كراهة ما أنعم الله ﷻ به على غيره، وليس هو تمني زوال نعمة الله ﷻ على الغير، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله ﷻ به على غيره، فهذا هو الحسد، سواء تمنى زواله، أو أن يبقى ولكنه كاره له، كما حقق ذلك ابن تيمية رضي الله عنه فقال: "الحسد كراهة الإنسان ما أنعم الله ﷻ به على غيره"[1]

والحسد قد لا تخلو منه النفوس، يعني قد يكون اضطراريًا للنفس، قال ﷺ: "إذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق"[2]، يعني أن الإنسان يجب عليه إذا رأى من قلبه حسدًا للغير عليه ألا يبغي عليه بقول أو فعل، فإن ذلك من خصال اليهود الذين قال ﷻ عنهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤

ثم إن الحاسد يقع في محاذير:

أولاً: كراهته ما قدره الله ﷻ، فإن كراهته ما أنعم الله ﷻ به على هذا الشخص كراهة لما قدره كونًا ومعارضة لقضاء الله ﷻ.

---

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (28/ 144).
[2] رواه الطبراني (3/ 228).

ثانيًا: إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود بذكر ما يكره وتنفير الناس عنه، والحط من قدره وما أشبه ذلك، وهذا من كبائر الذنوب التي قد تحيط بالحسنات.

ثالثًا: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلاً، فكلما رأى نعمة من الله ﷻ على هذا المحسود اغتم وضاق صدره، وصار يراقب هذا الشخص كلما أنعم الله ﷻ عليه بنعمة حزن واغتم وضاقت عليه الدنيا.

رابعًا: أن في الحسد تشبهًا باليهود، ومعلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار صار منهم في هذه الخصلة، لقول النبي ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم"[1]

خامسًا: أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكن أبدًا أن يرفع نعمة الله ﷻ عن الغير، فذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد.

سادسًا: أن الحسد ينافي كمال الإيمان لقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2]، ولازم هذا أن تكره أن تزول نعمة الله ﷻ على أخيك، فإذا لم تكن تكره أن تزول نعمة الله ﷻ عنه، فأنت لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك وهذا ينافي كمال الإيمان.

سابعًا: أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله ﷻ من فضله، فتجده دائمًا مهتمًا بهذه النعمة التي أنعم الله ﷻ بها على غيره ولا يسأل الله ﷻ من فضله، وقد قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

---

[1] سنن أبي داود (4/ 314)، مسند أحمد (7/ 142).
[2] رواه البخاري (1/ 12)، رواه مسلم (1/ 67).

مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ النساء: ٣٢

ثامناً: أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله ﷻ عليه، أي أن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه، وحيئذ يحتقر نعمة الله ﷻ عليه فلا يقوم بشكرها بل يتقاعس.

تاسعًا: الحسد خلق ذميم؛ لأن الحاسد يتتبع نعم الله ﷻ على الخلق في مجتمعه، ويحاول بقدر ما يمكنه أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحط من قدره أحيانًا، وبازدراء ما يقوم به من الخير أحيانًا إلى غير ذلك.

عاشرًا: أن الحاسد إذا حسد فالغالب أن يعتدي على المحسود، وحينئذٍ يأخذ المحسود من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاته فطرح عليه ثم طرح في النار.

والخلاصة: أن الحسد خلق ذميم، ومع الأسف أنه أكثر ما يوجد بين العلماء وطلبة العلم، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم بعضاً، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد، وبين طلبة العلم أشد، مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد، وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق.

وأنت إذا رأيت الله ﷻ قد أنعم على عبده نعمة ما فاسعى أن تكون مثله، ولا تكره ما أنعم الله ﷻ عليه فقل: "اللهم زده من فضلك وأعطني أفضل منه"،

والحسد لا يغير شيئًا من الحال، لكنه كما ذكرنا آنفًا فيه هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة.

ثانياً: الإفتاء بغير علم:

الإفتاء منصب عظيم، به يتصدى صاحبه لبيان ما يشكل على العامة من أمور دينهم، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم؛ لذلك كان هذا المنصب العظيم لا يتصدر له إلا ممن كان أهلاً له، لذلك يجب على العباد أن يتقوا الله ﷻ وألا يتكلموا إلا عن علم وبصيرة، وأن يعلموا أن الله ﷻ وحده له الخلق والأمر، فلا خالق إلا الله ﷻ، ولا مدبر للخلق إلا الله ﷻ، ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله ﷻ، فهو الذي يوجب الشيء، وهو يحرمه، وهو الذي يندب إليه ويحلله، ولقد أنكر الله ﷻ على من يحللون ويحرمون بأهوائهم فقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يونس: ٥٩، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ النحل: ١١٦ - ١١٧

وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء: إنه حلال، وهو لا يدري ما حكم الله ﷻ فيه، أو يقول عن الشيء: إنه حرام، وهو لا يدري عن حكم الله ﷻ فيه، أو يقول عن الشيء: إنه واجب، وهو لا يدري أن الله ﷻ أوجبه، ويقول عن

الشيء: إنه غير واجب، وهو لا يدري أن الله ﷻ لم يوجبه، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله ﷻ.

كيف تعلم أيها العبد أن الحكم لله ﷻ ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم؟ لقد قرن الله ﷻ القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣، وإن كثيرًا من العامة يفتي بعضهم بعضًا بما لا يعلمون فتجدهم يقولون: هذا حلال، أو حرام، أو واجب، أو غير واجب، وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً، أفلا يعلم هؤلاء أن الله ﷻ سائلهم عما قالوا يوم القيامة؟!

أفلا يعلم هؤلاء أنهم إذا أضلوا شخصًا فأحلوا له ما حرم الله ﷻ، أو حرموا ما أحل الله ﷻ له، فقد باؤوا بإثمه وكان عليهم مثل وزر ما عمل؟ وذلك بسبب ما أفتوه به.

وإن بعض العامة يجني جناية أخرى فإذا رأى شخصًا يريد أن يستفتي عالماً يقول له هذا العامي: لا حاجة أن تستفتي، هذا أمر واضح، هذا حرام، مع أنه في الواقع حلال، فيحرم ما أحل الله ﷻ له، أو يقول له: هذا واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله ﷻ به، أو يقول: هذا غير واجب، وهو واجب في شريعة الله ﷻ فيسقط عنه ما أوجب الله ﷻ عليه، أو يقول: هذا حلال، وهو في الواقع حرام، وهذه جناية منه على شريعة الله ﷻ، وخيانة لأخيه المسلم حيث أفتاه بدون علم، أريتم لو أن شخصًا سأل عن طريق بلد من البلدان، فقلت الطريق من هنا وأنت لا تعلم، أفلا

يعد الناس ذلك خيانة منك؟ فكيف تتكلم عن طريق الجنة وهو الشريعة التي أنزل الله ﷻ وأنت لا تعلم عنها شيئًا؟!

وإن بعض المتعلمين أنصاف العلماء يقعون فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون، ويجملون في الشريعة ويفصلون، وهم من أجهل الناس في أحكام الله ﷻ، إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكأنما ينزل عليه الوحي فيما يقول من جزمه وعدم تورعه، لا يمكن أن ينطق ويقول: لا أدري، مع أن عدم العلم هو وصفة الحق الثابت، ومع ذلك يصر بناء على جهله على أنه عالم فيضر العامة؛ لأن الناس ربما يثقون بقوله ويغترون به، وليت هؤلاء القوم يقتصرون على نسبة الأمر إليهم بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام فيقولون: الإسلام يقول كذا، الإسلام يرى كذا، وهذا لا يجوز إلا فيما علم القائل أنه من دين الإسلام، ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، أو إجماع المسلمين عليه، وإن بعض الناس لجرأته، وعدم ورعه، وعدم حيائه من الله ﷻ، وعدم خوفه منه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه: ما أظن هذا حرام، أو عن الشيء الواجب والواضح وجوبه يقول: ما أظن هذا واجبًا، إما جهلاً منه أو عنادًا ومكابرة، أو تشكيكًا لعباد الله ﷻ في دين الله ﷻ.

وإن من العقل والإيمان ومن تقوى الله ﷻ وتعظيمه أن يقول الرجل: عما لا يعلم لا أعلم، لا أدري، اسأل غيري، فإن ذلك من تمام العقل؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به؛ ولأنه يعرف قدر نفسه، حينئذ وينزلها منزلتها، وإن ذلك أيضًا من تمام الإيمان وتقوى الله ﷻ حيث لا يتقدم بين يدي ربه ﷻ ولا يقول عليه في دينه ما لا يعلم، ولقد كان رسول الله ﷺ وهو أعلم الخلق بدين الله ﷻ كان يسأل عما لم

ينزل عليه فيه الوحي فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب الله ﷻ عما سئل عنه نبيه ﷺ، قال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة: ٤، وقوله ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ الكهف: ٨٣، وقوله ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧، ولقد كان الأجلاء من الصحابة ﷺ تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله ﷻ فيها فيهابونها ويتوقفون فيها، فها هو أبو بكر الصديق ﷺ يقول: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله ﷻ بغير علم"[1]

وها هو عمر بن الخطاب ﷺ تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها"، **قال ابن سيرين**: "لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر"[2]، وقال ابن مسعود ﷺ: "أيها الناس، من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم"[3]

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: "لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالت: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٢"[4]

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي (3/ 540).
[2] صفة الصفوة (1/ 96).
[3] جامع بيان العلم وفضله (2/ 832).
[4] الضياء اللامع من الخطب الجوامع (2/ 323).

يجب على العامة أن يتلقوا أحكامها من أهل العلم حتى يعرفوا بذلك حكم الله ﷻ ولا يقولوا في دين الله ﷻ ما لا يعلمون.

ثالثاً: الكبر:

وقد فسره النبي ﷺ بأجمع التفسير وأبينه وأوضحه فقال: "الكبر بطر الحق[1]، وغمط الناس[2]"[3]

ومن الكبرياء ردك على معلمك، والتطاول عليه، وسوء الأدب معه، وأيضًا استنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وهذا يقع لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم استنكف ولم يقبل، وتقصيرك عن العمل بالعلم عنوان حرمان.

رابعاً: التعصب للمذاهب والآراء:

يجب على طالب العلم أن يتخلى عن الطائفية والحزبية بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة، أو على حزب معين، فهذا لاشك خلاف منهج السلف، فالسلف الصالح ﷺ ليسوا أحزابًا، بل هم حزب واحد، ينضوون تحت قول الله ﷻ: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨، فلا حزبية، ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة، ثم يقرر منهجًا ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه، ويحامي دونها، ويضلل من سواه، حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منها، ويأخذ مبدأ: من ليس معي فهو علي، وهذا مبدأ خبيث؛ لأن هناك وسطًا بين أن يكون لك أو

---

[1] وبطر الحق: رد الحق.
[2] وغمط الناس يعني: احتقارهم.
[3] رواه مسلم (1/ 93)

عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك وهو في الحقيقة معك؛ لأن النبي ﷺ قال: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"[1]

ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضًا، ويأكل لحم أخيه ميتًا، لحقهم الفشل كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴿٤٦﴾﴾ الأنفال: ٤٦، لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسنة، وقول أصحاب رسول الله ﷺ.

خامساً: التصدر قبل التأهُّل:

مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلاً للتصدر، لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور، لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ أن الناس إذا رأوه متصدرًا أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

[1] رواه البخاري (3/ 128).

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ﷻ ما لا يعلم؛ لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي ويجيب على كل ما سئل، ويخاطر بدينه وبقوله على الله ﷻ بلا علم.

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بعالم.

سادساً: سوء الظن:

يجب على طالب العلم الحذر من أن يظن بغيره ظنًا سيئًا مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء، لم يلقِ الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم، وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة، إن كانت كثيرة قالوا: مرائياً، وإذا كانت قليلة قالوا: إن الله ﷻ غني عن صدقة هذا، كما قال ﷻ عنهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ التوبة: ٧٩، فإياك وسوء الظن بمن ظاهره العدالة، ولا فرق بين أن تظن ظنًا سيئًا بمعلمك أو بزميلك، فإن الواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم؛ لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخص ما بناء على وهم كاذب لا حقيقة له.

فالواجب إذا أسأت الظن بشخص، سواء من طلبة العلم أو غيرهم، الواجب أن تنظر هل هناك قرائن واضحة تسوغ لك سوء الظن فلا بأس، وأما إذا كان مجرد

أوهام فإنه لا يحل لك أن تسيء الظن بمسلم ظاهره العدالة، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢، ولم يقل (كل الظن) ؛ لأن بعض الظنون لها أصل ولها مبرر: ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير لاشك أنه إثم، وكذلك الظن الذي لا مستند له، وأما إذا كان له مستند فلا بأس أن تظن الظن السيء بحسب القرائن والأدلة، لذلك ينبغي للإنسان أن ينزل نفسه منزلتها، وألا يدنسها بالأقذار، وأن يحذر هذه الأخطاء مما تقدم؛ لأن طالب العلم شرفه الله ﷻ بالعلم، وجعله أسوة وقدوة، حتى أن الله ﷻ رد أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣، فالحاصل أنك يا طالب العلم محترم، فلا تنزل بنفسك إلى ساحة الذل والضعة، بل كن كما ينبغي أن تكون.

المبحث الخامس
فوائد طلب العلم

تتعدد فوائد العلم الشرعيّ، ومنها ما يلي:

أولاً: يُعتبر تعلم العلم الشرعيّ من الأمور الخيّرة التي يمنحها الله ﷻ لعباده، حيث يقول ﷻ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩.

ثانياً: يُعدُّ العلم الشرعي الطريق الذي يقود بصاحبه إلى الجنة، قال ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"[1]

ثالثاً: تتواضع الملائكة لطالب العلم الشرعيّ، قال ﷺ: "وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"[2]

رابعاً: تنغرس محبة طالب العلم الشرعيّ في نفوس جميع الناس، ويستغفرون له، حتّى إنَّ العالم لو تأمل هذه الفائدة لهان عليه جميع الأمور الصعبة التي يلقاها في طريق العلم، قال ﷺ: "وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء"[3]

[1] سنن ابن ماجه (1/ 81)، سنن الترمذي (5/ 48).
[2] صحيح ابن حبان (4/ 147)، شعب الإيمان للبيهقي (3/ 220).
[3] رواه الترمذي (5/ 48)

خامساً: يُعدُّ طالب العلم الشرعي في منزلة المجاهد في سبيل الله ﷻ، قال ﷺ: "من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره"[1]

سادساً: يمتاز علماء الشرع بمكانتهم المرتفعة؛ حيث رفع الله ﷻ مكانة وقدر العلماء، يقول ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

سابعاً: يُعتبر فقدان علماء الشريعة ضياعاً، وهلاكاً للأمة، قال ﷺ: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقَ عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[2]

ثامناً: يستمر أجر علمهم إلى يوم القيامة، قال ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له"[3]

تاسعاً: يتميز العلم الشرعي بأنَّه محل الثناء؛ وذلك لأنَّه فقه القرآن الكريم، والسنة النبويّة، وما عداه إمّا يكون وسيلة لنشر الخير، أو وسيلة للشر، ويكون حُكمه حسب وسيلته ومُبتغاه.

ومن فوائد العلم أيضاً: "أنه به يعرف الله ﷻ ويعبد ويوحد، وهو أساس صحة الاعتقادات والعبادات، وطلبه عبادة، وهو طريق الوصول إلى الجنة، ويكسب صاحبه الخشية لله ﷻ، ويكسب صاحبه التواضع للخلق، وينتفع صاحبه وينتفع به

---

[1] سنن ابن ماجه (1/ 82)
[2] رواه البخاري (1/ 31)، رواه مسلم (4/ 2058).
[3] رواه مسلم (3/ 1255).

غيره ممن علمه، ويبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، ويورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء، ويرفع الوضيع ويعز الذليل ويجبر الكسير، وهو دلي حب الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وبه توصل الأرحام وتؤذى الحقوق"[1]

[1] نظرة النعيم (7 / 2982)

المبحث السادس

مفاتن العلم

المفتن الأول: حب الشهرة والظهور:

لما كان العلم الشرعي من أرقى العبادات، وأعلا المنازل في حسّ الناس، أضحى أصحابه من المشاهير وطلابه من المعروفين، الذين يهتم بهم الناس، وتُطالع سيرهم، ويُحتذى بشخوصهم وكلماتهم.

وهذا من رفعه الله ﷻ لهم، حيث جعل الأبصار تشخص فيهم، والأنظار تتطلع إليهم، قال ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١، لكن المشين هنا، أن يعتز العالم بالشهرة المحصولة، بل يوسعها كماً وكيفاً، ويتلذذ بذكر الناس لها وبأدواره المختلفة في العمل الإسلامي، وهذا مزلق خطير، ومفتن وخيم؛ لأن الشهرة، وإن غرّت ابتداءً فهي قاتلة، لأنها طريق إلى نفق ضيق، خال من النور والهدى والاستيعاب.

وقد أكثر السلف من التحذير من طلب التصدر وحب الشهرة، **قال الذهبي**: "فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب، فكم رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله ﷻ عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفيٌ سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء، وهو داء خفيّ يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين"[1]

[1] سير أعلام النبلاء للذهبي (18/ 192).

فعلى العبد أن يجاهد نفسه في دفع هذا الداء العضال عنها، ثم إن كان ما ذكر مجرد أوهام أو خواطر، فإنها لا تضره ولا تقدح في إخلاصه، وكذا إن كان حديث نفس وهو يجاهده ويسعى في التخلص منه، فلا يضره كذلك، **قال إبراهيم بن أدهم** رضي الله عنه: "ما صدق الله عز وجل عبد أحب الشهرة"[1]

وأمر مدافعة حب الشهرة والظهور والرغبة في ذيوع الصيت شاق بلا شك، وإنما يوفق لمدافعته المخلصون من عباد الله عز وجل، ولكنه يسير على من يسره الله سبحانه وتعالى عليه، وسبيل ذلك أن يعلم العبد علماً جازماً أن الناس لا ينفعون ولا يضرون، فلا يزين مدحهم، ولا يشين ذمهم، وإنما الذي يزين مدحه ويشين ذمه هو الله سبحانه وتعالى، ومن ثم فلا يكون له مقصود غيره ولا يبتغي بعمله غير وجهه، ويعلم كذلك أن حرصه على الشهرة يفسد دينه، قال صلى الله عليه وسلم: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"[2]

فيكره العاقل أن يبيع دينه بهذا العرض الفاني والحطام القليل، **يقول ابن القيم** رضي الله عنه مبيناً الداء والدواء: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص فإن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 31).

[2] مسند أحمد (25/ 85)، سنن الدارمي (3/ 1795)، سنن الترمذي (4/ 588)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 386)، صحيح ابن حبان (8/ 24).

من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه وأما ازهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده كما قال ذلك الأعرابي للنبي ﷺ إن مدحي زين وذمي شين فقال ذلك الله ﷻ فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشنيك ذم وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب"[1]

المفتن الثاني: حب التصدر:

أن من الآفات العظيمة، والعوائق الكبيرة في طريق طالب العلم في سيره في طلب العلم، وفي سيره إلى الله ﷻ حب التصدر، وحب الشهرة، واللهفة لأن يحتاج الناس إليه، فإن هذا من الآفات العظيمة، والنبي ﷺ يقول: "لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار"[2] شيء غير طلب المنصب، وإن كان هو نوعاً منه، لكن التصدر هنا هو السبق إلى الحديث في المجامع، واستعجال الحديث أمام الأفاضل والجلوس في أماكن الأكابر.

والمبادرة للمشاركة في كل ما يطرح، ويرى أنه لابد له أن يتحدث، وأن من واجب الناس عليه، أن يقدموه ولا يؤخروه، ويستفتوه ولا يتجاهلوه، ويذكروه، ولا يهملوه.

وهو داء خطير، وفتنة قاتمة، حيث يفسد الفائدة، ويعكر الهدف، ويوغل القلب، ويجعل حامله طلاب مظاهر، وهاوي مواقف، وصاحب مقاصد ورغبات!

---

[1] الفوائد لابن القيم (1/ 149)

[2] سنن ابن ماجه (1/ 93)، صحيح ابن حبان (1/ 278).

إن العلم الزكي هو الذي سيرفع صاحبه ويعلي من شأنه في قلوب الناس قبل مجالسهم وأحاديثهم، لذا عليه أن يتواضع، ويتباعد عن أماكن الجناح والآثام، التي تُركبه الغرور والإعجاب بالنفس، وقد قال ﷻ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢، وأيضاً فليحذر الحديث أمام شيوخه، أو التقدم عليهم أو مسابقتهم أو مقارنتهم، وليجعل الناس يختارونه لصدقه وعلمه، وليس لمحبته واستعجاله، فإن من كان كذلك لامه الناس، ورمقته الأعين، واستخف به الجالسون، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه"[1]

المفتن الثالث: استعجال التأليف:

من مقاصد العلم ومنافعه، أن يقيد العالم بعض الجوابات والدروس التي ألقاها، أو طلبها الناس لينشرها، وتبلغ الآفاق، لكنّ ذلك لأهله الحاذقين، علماً وفهماً وفكراً، ويملكون القدرة اللغوية والإنشائية وخبرهم الناس على الجودة والبلوغ والفهامة، وأما من عداهم فالأولى الصبر والانتظار، ودوام التحصيل والاستذكار، والانتفاع بمناهج المؤلفين من الأقادم والأواخر.

لكننا بتنا في عصر تباينت أحواله، وقلّ متقنوه، وراجت كتبه على أي وجه كان، فتكلم الجاهل، وحدَّث البليد، وأفتى المأجور، وخاض الرويبضة، وزبّب الأصاغر والأسافل، واشتُريت الدنيا بعمل الآخرة، والله المستعان.

إنَّ التأليف إنما يمتطي صهوته من ملك أدواته، وعرف مقاصده، وصحت تجاربه، وبات يأتيه الشعور الملح الصادق عن التأليف، وأنه قد حانت ساعته، ودنت

[1] مفاتن العلم والتفقه حمزة الفتحي ص20

نازلته، فوجب الكشف والبيان، وعصف الذهن واللسان، حينئذ حق له التأليف والإفادة.

وما أجمل أن يعرض المؤلف عقله على من هو أنبه منه، وأكثر رسوخاً، ليستبين الطريق، وتختبر الحالة، ويسود التقويم والتصحيح، فيحصل الدفع أو الكف للانتظار إلى ساعة الفرج والفلاح.

المبحث السابع
معوقات عن طلب العلم

المعوق الأول: فساد النية:

وهي ركن العمل وأساسه، وإذا تخلّلها خلل، فإن العمل يعتريه الخلل بقدر ما يعتري النية، وقد قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[1]، **وقال سفيان الثوري** رضي الله عنه: "ما عالجت شيئاً أشد لي من نيتي"[2]

فلذلك ينبغي أن يكون الواحد منا متجرداً في طلبه للعلم، لا يريد بذلك إلا وجه الله عز وجل، **فيا طالب العلم أخلص نيتك لله** سبحانه وتعالى.

المعوق الثاني: حب الشهرة وحب التصدر:

وهو داخل تحت النية، ولكن يفرد لأهميته، والشهرة والتصدر داء وبيل لا يسلم منه إلا من عصمه الله عز وجل، **قال الشاطبي:** "آخر الأشياء نزولاً في قلوب الصالحين حب السلطة والتصدر"[3]

فإذا كانت نية طالب العلم أن يشتهر اسمه بين الناس، وأن يرتفع ذكره وشأنه، ولا همَّ له إلا ذلك، فقد أدخل نفسه مداخل خطيرة، وذلك قال فيه النبي ﷺ: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة ثلاثة إلى أن قال: ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى فعرَّفه، قال: فما فعلت فيها، قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك

[1] رواه البخاري (1/ 6)، رواه مسلم (3/ 1515).
[2] المجموع شرح المهذب (1/ 17).
[3]

القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"[1]

وكان السلف رضي الله عنهم أبعد الناس عن حب الشهرة، **قال بشر بن الحارث** رضي الله عنه: "ما اتقى الله عز وجل من أحب الشهرة"[2]

فيا طالب العلم ابتعد عن حب الشهرة والظهور وحب التصدر وأخلص نيتك لله سبحانه وتعالى.

المعوق الثالث: التفريط في حلقات العلم:

كان سلفنا يقول: "إن العلم يؤتى ولا يأتي"[3]، إن العلم الآن يأتي ولا يؤتى إلا من القليل، فحلقات العلم التي تعقد والدروس التي تقام، إن لم نستغلها فسوف نعض أصابع الندم فيما بعد، فهذه الحلقات لو لم يكن فيها إلا أن السكينة تنزل على حاضريها، والرحمة تغشاهم، والملائكة تحفهم، وقبل ذلك كله يذكرهم الله سبحانه وتعالى فيمن عنده، لكان ذلك كافياً في حضورها، فكيف إذا كان سيحظى بفوزين بالتحصيل العلمي وبالأجر الأخروي.

فيا طالب العلم اجتهد في الجلوس في حلقات العلم ولا تفوت درس علم لكي تكسب الأجرين أجر التحصيل العلمي وأجر الآخرة.

المعوق الرابع: التذرع بكثرة الأشغال:

هذا العذر جعله الشيطان حاجزاً منيعاً ومن فتح الله سبحانه وتعالى على بصيرته ورتب أوقاته

---

[1] رواه مسلم (3/ 1513)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 284).
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 346).
[3] كشف الخفاء (2/ 67). الدر المنثور في التفسير بالمأثور (2/ 640)، المجالسة وجواهر العلم (8/ 321).

واستغل ما يستطيع فإنه سيحصل كثيراً، فالمفرط جعل الأشغال ذريعة في التغيّب عن حلقات العلم، وجعل في هذه الأشغال التماساً للمعاذير حتى يجعل لنفسه تأويلاً مستساغاً في نظره، فيكون في تركه لطلب العلم حجة، وهذا كله من تسول الشيطان له، وهذه الأشغال هي سبب رئيس في منع الطالب من حلقات تحصيل العلم والنفع الكثير.

فيا طالب العلم لا تجعل لك أعذاراً وحجج واهية لتضيع الفائدة الكبيرة والأجور الكثير.

المعوق الخامس: التفريط في طلب العلم في الصغر:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "تفقهوا قبل أن تُسودوا"[1]، إن الإنسان ليغبط أناساً أصغر منه سناً وأكبر همة، تجدهم من السبّاقين إلى حلقات العلم، ومن المسارعين في طلب العلم، ويتحسر على أوقات ذهبت من عمره ولم يستغلها في طلب العلم، فطلب العلم في الصغر أفضل بكثير من الكبر؛ لأن في الكبر لا يستطيع أن يتهيأ للتحصيل العلمي وذلك لكثرة الأشغال والأعباء، ولذلك **قال الحسن البصري**ﷺ: "طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر"[2]

فيا طالب العلم بادر قبل أن تبتلى بالناس وبكثرة الأشغال والأعباء، واستغل وقتك في الصغر، وأبقى على تواصل في طلب العلم وحتى في الكبر.

المعوق السادس: العزوف عن طلب العلم:

ومن أسباب ذلك العزوف بزعم التفرغ لمتابعة أحداث العصر ومعرفة الواقع

---

[1] رواه البخاري (1/ 25).
[2] جامع بيان العلم وفضله (1/ 357)

إن طلب العلم يحثك على أن تعرف واقعك، ولن تستطيع أن تعالج نازلة نزلت بك أو في واقعك إلا بأن تعرضها على ميزان الشرع.

فينبغي لك يا طالب العلم أن تكون من السبّاقين والمسارعين لطب العلم ولا تعزف عن طلب العلم فإن له أجر عظيم من الله الرحيم ﷻ.

المعوق السابع: تزكية النفس:

وهي أن يُحب الشخص مدح نفسه، وأن يضفي لنفسه ألقاباً، ويحب أن يسمع ثناء ومدح الناس له، ويفرح بذلك، سأل أبو هريرة ﷺ رسول الله ﷺ عن الرجل يعمل عملاً فيراه الناس فيحمدونه، فقال ﷺ: "تلك عاجل بشرى المؤمن"[1]

فيا طالب العلم الحذر كل الحذر أن تمدح بأمر ليس فيك وتفرح بذلك، فحذار حذار أن يكون هذا من شأنك وتذكر قول الله ﷻ: ﴿ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٨، ثم تذكر أن تزكية النفس في الغالب مذمومة إلا في بعض المواطن بضوابط شرعية، يقول ﷻ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢، وقال ﷺ: "لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم"[2]

فيا طالب العلم احذر أن تكون ممن يفرح ويدخله العجب إذا زكى، واحذر من خطر تزكية النفس.

---

[1] رواه مسلم (4/ 2034).
[2] رواه مسلم (3/ 1687).

المعوق الثامن: عدم العمل بالعلم:

وذلك سببٌ من أسباب مَحق بركة العلم، ومن أسباب قيام الحُجة على صاحب العلم، **يقول الإمام الذهبي:** "وأما اليوم فما بقى من العلوم القليلة إلا القليل، في أُناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل"[1]، ولقد ذم الله ﷻ من لا يعمل بالعلم فقال ﷻ: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٣، ولقد كان السلف الصالح والصحابة ﷺ أحرص الناس على العمل بما يعملون، يقول ابن مسعود ﷺ: "كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[2]

فالعلم والعمل قرينان، فإن كان علم بلا عمل فإنه حجة على صاحبه، فالعمل ميزان العلم، يقول بشر الحافي ﷺ: "أدّوا زكاة الحديث فاستعملوا من كل مائتي حديث خمسة أحاديث"[3]

فيا طالب العلم اعمل بما تعلمت، ولا تترك العمل بالعلم، فتعلم واعمل بالعلم الذي تعلمته.

المعوق التاسع: اليأس واحتقار الذات:

قال الإمام البخاري حين سُئل ما دواء النسيان؟ قال: مداومة النظر في الكتب"

الجميع يشترك في قول الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

---

[1] تذكرة الحفاظ للذهبي (3/ 157).
[2] تفسير الطبري (1/ 74)، تفسير ابن كثير (1/ 9)
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 336).

﴿٧٨﴾ ﴿ النحل: ٧٨، هذه الآية تجمعنا جميعاً أنبياء وصحابة وعلماء، ولذا لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولا تحقرنَّ نفسك، إن اليأس وعدم الثقة بالنفس سبب عظيم من أسباب عدم تحصيل العلم، فلا تحقرن نفسك إن كنت ضعيفاً في الحفظ أو ضعيف الفهم أو سريع النسيان، كل هذه أدواء وأسقام تزول إذا صدقت النية وبذلت السبب.

فيا طالب العلم إياك أن تحقر نفسك، بل أخلص النية لله ﷻ، وابذل السبب واستغل وقتك، وسترى أنك حصلت خيراً كثيراً.

المعوق العاشر: التسويف:

قال ابن القيم رضي الله عنه: "إن المنى رأس أموال المفاليس"[1]، فالتسويف من جنود إبليس، وهو أن يأمل العبد أن يقضي ذلك الأمر بعد حين من عمره، ولم يعرف أن الأجل يباغته، وعن **الحسن البصري** رضي الله عنه قال: "إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غداً لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم"[2]

فيا طالب العلم عليك أن تترك التسويف جانباً وتشمر عن سواعد الجد، ولا يفتر أحد في تحصيل الخير وطلب العلم.

المعوق الحادي عشر: فتور همته وضعف إرادته:

فالهمّة والإرادة تعدان من أهم اللوازم لطالب العلم، وضعفهما من أقوى المعضلات في تحصيله، فلا تتطلع همته إلا إلى سفاسف الأمور، وينسى المعالي والأمجاد، وقد

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 454).
[2] اقتضاء العلم والعمل للخطيب البغدادي (1/ 113).

قال ﷻ: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٣، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "لا تَصغُرنّ همتُك، فإني لم أرَ أقعدَ بالرجل من سقوط همته"[1]، وغاية طموحه أهداف دنيوية، ومقاصد تلذذية، لا ترتقي لمقاصد العقلاء الجادين. وتسقط الهمم بالجليس ولوك الخسيس، والتفاني في الرخيص والبئيس.

المعوق الثاني عشر: سوء التخطيط في طلب العلم:

حيث يتعامل طالب العلم مع طلبه للعلم بشكل ارتجالي غير مدروس، فهو بحاجة لتنظيم الوقت أولاً ثمّ التخطيط لأنواع العلوم التي يتعاطاها أو يتلقاها، والأوقات المناسبة لذلك.

المعوق الثالث عشر: ضعف الإمكانيات الماديّة:

ذلك أنّ تحصيل العلوم والتخصص فيها يحتاج إلى إمكانيات ماديّة تناسبها، فكثيراً ما تحول هذه الإمكانيّات بين الإنسان وطلب العلم، وهنا لا بدّ من تبني سياسة داعمة ومشجّعة لدى الحكومات والمؤسسات العلميّة المختلفة بتوفير الدعم المادي لطلاب العلم، وحبذا لو اتُبعت سياسة مجانية للتعليم ووضعت مقدرات الأمّة أو معظمها في دعم العلم والتعلم.

المعوق الرابع عشر: سوء الصحبة:

إذ الصديق رحيق، والرفيق معين، والجليس أنيس، فإذا آنس بالعلم، وصادقَ بالعلم عظمت الفائدة، ونزلت البركة، وطابت الصحبة، وضرب لهم ﷺ مثلاً رائعاً: "كحامل المسك ونافخ الكير"[2]، فتخير من الأصدقاء أعلمَهم وأطيبهم وأنبلهم،

[1] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني (1/ 521).
[2] رواه البخاري (7/ 96)، رواه مسلم (4/ 2026)

قال ميمون بن مهران رضي الله عنه: "العلماء هم ضالّتي في كل بلد، وهم بُغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء"[1]

فالصحبة السيئة لا تعين صاحبها على طلب العلم، وإنّما تربي فيه الكسل والتقصير والإهمال.

المعوق الخامس عشر: قلة الصبر:

لأن العلم والصبر صنوان، فيحتاج الطالب إلى صبر على القراءة وصبر على الحفظ، وصبر على التحمل، وصبر على المكاره والجوع، وصبر على الخذلان، قال ﷺ: "ومن يتصبر يصبّره الله"[2]، وقال غير واحد من الأئمة بارتباط العلم بالفقر ومتاعب الحياة، حتى **قال النضْر بن شُميل**[3]: "لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه"[4]، **وقال قتادة:** "الصبر من الإيمان بمنزلة اليدين من الجسد، من لم يكن صابراً على البلاء لم يكن شاكراً على النعماء، ولو كان الصبر رجلاً لكان كريماً جميلاً"[5]

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/ 85).
[2] رواه البخاري (2/ 122).
[3] النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان) وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة 128) وأصله منها، فأقام زمنا. وعاد إلى مرو فولي قضاءها. واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه، وتوفي بمرو. من كتبه " الصفات " كبير، في صفات الإنسان والبيوت والجبال والإبل والغنم والطير والكواكب والزروع، و " كتاب السلاح " و " المعاني " و " غريب الحديث " و " الأنواء ".
[4] تذكرة الحفاظ للذهبي (1/ 229).
[5] الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص 112.

المبحث الثامن
آفات طلب العلم

فإن للعلم آفاتٍ تؤدي إلى ضياعه، ويمكن أن نوجز آفاتِ طلب العلم في الأمور التالية:

الآفة الأولى: الرياء:

الرِّياء مِن أخطر آفات العلم؛ لأنه يحبِط ثواب العمل الصالح.

معنى الرياء:

الرياء: مشتق من الرؤية، والمراد به إظهارُ العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها.

والسُّمعة: مشتقةٌ من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر؛ حذَّرنا الله ﷻ من الرياء في الأقوال والأفعال، وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، وبيَّن لنا ﷻ أن الرياءَ يحبِط الأعمال الصالحة، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢، وعن محمود بن لبيدٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: "إن أخوفَ ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول اللهُ عز وجل لهم يوم القيامة

إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً"[1]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِركَه"[2]

وعن ابن عباسٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "مَن سمَّع سمَّع الله به، ومَن راءَى راءَى اللهُ به"[3]

قال الخطابيُّ: "معناه: مَن عمل عملًا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزِي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يُبطنه ويُسرُّه مِن ذلك"[4]، وعن كعب بن مالكٍ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَن طلب العلم ليجاريَ به العلماء، أو ليماريَ به السفهاء، أو يصرفَ به وجوه الناس إليه – أدخله اللهُ النارَ"[5]

الآفة الثانية: المعاصي:

ارتكابُ المعاصي من الآفات التي تؤدي إلى عدمِ التوفيق في تحصيل العلم النافع، قال عبد الله بن مسعودٍ ﷺ: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلَمُه بالخطيئة يعمَلها"[6]، وكتب رجلٌ إلى أخٍ له: "إنك أوتيتَ عِلمًا، فلا تطفئ نورَ علمك بظلمات الذنوب، فتبقى في ظلمةٍ يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة"[7]

---

[1] مسند أحمد (39/ 43).
[2] رواه مسلم (4/ 2289).
[3] رواه البخاري (8/ 104)، رواه مسلم (4/ 2289).
[4] فتح الباري لابن حجر (11/ 336).
[5] رواه الترمذي (5/ 32).
[6] المعجم الكبير للطبراني (9/ 189)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131).
[7] جامع بيان العلم وفضله (1/ 261).

الآفة الثالثة: العُجْب والتكبُّر على الناس:

العُجْب واغترار الإنسان بما يحمِله من العلم واتخاذه وسيلةً للتكبُّر على الناس مِن آفات ضياع العلم؛ فالتكبُّر مُهلِكٌ لصاحبه، ولا يجتمع الكِبْر والعلم في قلب مؤمن، وحذَّرنا الله ﷻ مِن الكبر وسوء عاقبته في مواضعَ عديدةٍ في القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤، وقال ﷻ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦، وحذَّرنا نبيُّنا ﷺ من الكِبْر في كثير من أحاديثه المباركة، فعن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنةَ مَن كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ"، قال رجلٌ: إن الرجلَ يحب أن يكون ثوبُه حسنًا ونعله حسنةً؟! قال: إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبْرُ بطَرُ الحق[1]، وغَمْطُ الناس[2]"[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "بينما رجلٌ[4] يمشي في حلةٍ[5] تُعجبه نفسه[6]، مرجلٌ جُمَّته[7] إذ خسف[8] الله به، فهو يتجلجل[9] إلى يوم القيامة"[10]

---

[1] بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً
[2] غمط الناس: معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه.
[3] رواه مسلم (1/ 93)
[4] رجل: من الأمم السابقة.
[5] حلة: ثوبان من نوع واحد.
[6] تعجبه نفسه: ينظر إليها بعين الكمال وينسى نعمة الله ﷻ عليه محتقراً لما سواه من الناس.
[7] مرجل جمته: مسرح رأسه والجمة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين أو هو مجمع شعر الرأس.
[8] خسف: غارت به الأرض وغيبه الله ﷻ فيها.
[9] يتجلجل: يتحرك وينزل مضطرباً وفي رواية (يتجلل) تغطيه الأرض.
[10] رواه البخاري (7/ 141).

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "قال الله ﷻ: الكبرياءُ ردائي، والعظَمة إزاري، فمَن نازعني واحدًا منهما قذفتُه في النار"[1]

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: "الإعجابُ آفَةُ الألباب"[2]، وقال أبو الدرداءِ ﷺ: "علامة الجهل ثلاثٌ: العُجْب، وكثرة المنطق فيما لا يَعنيه، وأن ينهى عن شيءٍ ويأتيه"[3]

الآفة الرابعة: الحسَد:

الحسَد مِن الآفات التي تؤدي إلى ضياع العلم النافع.

الحسد: هو أن يرى الإنسانُ لأخيه نعمة فيتمنى أن تزولَ عنه وتكون له دونه؛ وحذَّرنا نبينا محمد ﷺ من الحسد؛ لِمَا يترتب عليه مِن مفاسد في الدِّين والدنيا، فعن أنس بن مالكٍ ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال: "لا تباغَضوا، ولا تحاسَدوا، ولا تدابَروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، ولا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ"[4]، وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال: "لا يجتمعانِ في قلب عبدٍ: الإيمانُ والحسَد"[5]، وعن ضمرة بن ثعلبة ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا يزال الناسُ بخيرٍ ما لم يتحاسَدوا"[6]، وعن الزبير بن العوام ﷺ: أن النبيَّ ﷺ قال: "دَبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسدُ والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلِق الشَّعر، ولكن تحلِق الدِّين"[7]

---

[1] مسند أحمد (15/ 211)، سنن ابن ماجه (2/ 1397)
[2] جامع بيان العلم وفضله (1/ 569).
[3] جامع بيان العلم وفضله (1/ 569).
[4] رواه البخاري (8/ 21)، رواه مسلم (4/ 1983)
[5] سنن النسائي (6/ 12).
[6] المعجم الكبير للطبراني (8/ 309).
[7] رواه الترمذي (4/ 664).

الآفة الخامسة: عدم العمَل بالعلم:

إن عدم عمَل طالب العلم بما يعلَمه مِن أسباب ضياع العلم، وفَقْد هيبته من نفوس عامَّة الناس، وفقدان الثقة بما يقول، ولقد ذمَّ اللهُ ﷻ الذين يقولون ما لا يفعلون، قال ﷻ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ البقرة: ٤٤، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٢ – ٣، وعن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مثَل العالم الذي يعلِّم الناسَ الخيرَ وينسى نفسه كمَثَلِ السراج يضيءُ للناس، ويُحرق نفسه"[1]، **قال مالكُ بن دينارٍ** ﷺ: "إن العالمَ إذا لم يعمل بعِلمه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب، كما تزِلُّ القَطرةُ عن الصَّفا"[2]

الآفة السادسة: الجَدَل والمخاصمة:

الجَدَل: هو شدَّةُ الخُصومة؛ **قال الفيُّومي**: "الجدل: هو التخاصُمُ بما يَشغَل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب"[3]، وحذَّرنا النبي ﷺ مِن خطورة الجدل والمخاصمة، فعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"[4]

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (2/ 165).
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 288).
[3] المصباح المنير للفيومي ص 36.
[4] المعجم الكبير للطبراني (8/ 98).

والمِراء: الطعنُ في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه، من غير أن يرتبط به غرضٌ سوى تحقيرِ الغير؛ **قال الأوزاعي:** "بلغني أن إذا أراد اللهُ ﷻ بقومٍ شرًّا ألزمهم الجَدَل، ومنَعهم العمل"[1]، **وقال ميمونُ بن مهران** ﷺ: "لا تُمارِ مَن هو أعلمُ منك، فإذا فعلتَ ذلك خزَن عنك علمَه، ولم يضرَّه ما قلتَ شيئًا"[2]

الآفة السابعة: كتمانُ العِلمِ عن الناس:

كتمانُ العِلمِ عن الناس يؤدي إلى نسيانه وذَهابه، ولقد حذَّرنا الله ﷻ وكذلك النبيُّ ﷺ مِن كتمان العلم، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٨، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: " من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار"[3]، وقال دغفل بن حنظلة السَّدوسي: " آفة العلم أن تخزنه ولا تحدث به ولا تنشره"[4]

وقال كثير بن مرة الحضرمي: "إن عليك في علمك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً، لا تحدث العلم غير أهله فتجهل ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك"[5]

---

[1] جامع بيان العلم وفضله (2/ 933)، شرح أصول الاعتقاد (1/ 164)، سير أعلام النبلاء (12/ 190).
[2] جامع بيان العلم وفضله (1/ 517).
[3] مسند أحمد (14/ 284).
[4] الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 108).
[5] جامع بيان العلم وفضله (1/ 452).

الآفة الثامنة: الانشغال بالدُّنيا:

مِن آفات العلم أن يجعَلَ الإنسانُ معظمَ وقته من أجل الدنيا، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن كانت الآخرةُ همَّه جعَل الله غناه في قلبه، وجمع له شملَه، وأتَتْه الدنيا وهي راغمةٌ، ومَن كانت الدنيا همَّه جعَل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شَمْله، ولم يأتِه مِن الدنيا إلا ما قُدِّر له"[1]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن اللهَ ﷻ يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك"[2]

الآفة التاسعة: النِّسيان:

يعتبر النسيان من أعظم آفات العلم، وعلاج النسيان يكون بمراجعة العلم، وتعليمه للناس، وترك أسباب ذهابه؛ كالمعاصي، فعن حكيم بن جابر ﷺ قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان"[3]، وعن الزهريِّ، قال: "آفة العلم النسيان وقلة المذاكرة"[4]، وقال علي بن ثابت ﷺ: "العلم آفته الإعجاب والغضب، والمال آفته التبذير والنهب"[5]

---

[1] سنن الترمذي (4/ 642).
[2] سنن الترمذي (4/ 642).
[3] سنن الدارمي (1/ 487)
[4] المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (1/ 293)، الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 120).
[5] جامع بيان العلم وفضله (1/ 445).

المبحث التاسع
مقتطفات عن العلم

المقتطف الأول: العلم الشرعي صمام الأمان:

إذا كان في الأمة الإسلامية اليوم تخلف وفتن وتشرذم، أو أن الدعوة الإسلامية تشكو من تعاكس وتضارب المواقف فإن العلم الشرعي يتكفل بتوضيح الراية ورأب الصدع ورتق الفتق، **قال أبو بكر الآجري** في هذا الصدد كلاماً نفيساً حين قال: "إن الله ﷻ اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب، فتفضل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل، وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل مكان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحكم"[1]

فالعلم هو أساس علاج الفتن والافتراق وذلك هو سر الخيرية الذي أشار إليه النبي ﷺ حين قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[2]، وليس في هذه الدنيا أفرح بها من داعية مسلم أحاطه الجد، ولازم الكتاب والسنة فدق على صدره وقال أنا للإصلاح، ثم يدق ثانية ويقول أنا لمواصلة الدرب، لكن قابلية هذا العلم على التأثير في حملته والتعدي إلى آخر متوقفة على شرطين:

الشرط الأول: صفاء بلا ابتداع بأن يكون على السنية المحضة، والاتباع المنضبط والانتساب إلى ما كان عليه السلف فهماً وعملاً، فصاحب السنة: "ظاهر مفاخر

---

[1] أخلاق العلماء للآجري (1/ 15).
[2] رواه البخاري (1/ 24)، رواه مسلم (2/ 718)

مشاور، والمحدث باطن شائن مائن، وذو الاتباع أبداً في العرصات علانية، والمبتدع يهرب أبدأ إلى الدهاليز والأقبية والظلام يتوارى"

الشرط الثاني: إخبات بمحراب، كما **قال ابن عطاء**: "ما فتح الله ﷻ على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب"[1]، ثم إنها دعوة إلى العلم مرتبطة بمنهجية منطبقة بقواعد أهل السنة والجماعة ومنهج السلف، هي وحدها القادرة على أن تتكفل بتحجيم المنهجية العقلية أو بالأحرى مدرسة الاعتزال الجديد التي رفعت رأسها مجدداً على طريقة التوسع في التأول والتي جلبت مزايدات غير محدودة في الترخص والتسهيل والتجانس مع الحياة العلمانية السائد.

ولسنا بهذا نقبل الجمود ونركن إلى التقليد وإلغاء العقل والوقوف عند أقوال الفقهاء الذين لا تسند النصوص ما ذهبوا إليه، ولكن ندعو إلى اجتهاد منضبط ومحروس بسنن، وهو يتجول بحرية داخل العرصات الواسعة التي منحتها القواعد الفقهية للمفتي والفقيه، مقترباً ما أمكن من منطق الشاطبي في موافقاته، مثلما يقتبس من جرأة ابن حزم في محلاه، متجنباً غرائبه القليلة، وأن يقترب من احتياطات ابن حجر في فتحه، ومن ترددات النووي بين التهيب وإحداث قول جديد في مجموعه مثلما يساير ويماشي توسيعات ابن تيمية في فتاواه.

وأمثال ذلك مما أتى به علم فطاحل آخرين كأن القدر جمع علم بعضهم إلى بعض لتكتمل صورة فقهية ناضجة، وغاية اجتهادها أن يستجيب للمستجدات التي أفرزتها تعقيدات الحياة المعاصرة وتشابكها من خلال الارتباط الوفي باجتهادات

[1] تفسير النسفي (1/ 253)

السلف الأولين، وليست غايته نبش وقلب صورة الفقه التي تكونت في قرون الفضل الأولى عبر ظنون وتأولات فوضوية تترك الناس في حيرة من أمرهم أمام زخم العقلانيات، حتى إن رغبات الحكام باتت تشكل إحدى أهم هذه الخلفيات التي تحاول التمرد كلما حاصرتها عوازل الفقه وجوازم الإيمان وهذا كله بمظلة من العقيدة السنية النصية في وفاء لحدود عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله التي ميزها عن الاستطرادات البدعية التي أوغلت في التعطيل والتمثيل، إن المدرسة العقلية الفقهية التي يريدها الاعتزال الجديد ستقوده إلى نزعة عقلية في الاعتقاد ولابد، لأن المحركات واحدة.

المقتطف الثاني: العلم الشرعي طريق لتبليغ الشريعة:

سبحان من منّ على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الأمر ومراد الشارع ﷻ، فهم حفظة الشريعة.

إن الشريعة ليتجافاهم خوفاً منهم، فإنهم يقدرون إلى أذاه، وهو لا يقدر على أذاهم، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧، ويقول ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"[1]، فإذا لم يتشاغل بالعلم، فكيف يبلغ الشريعة إلى الخلق، فلابد على طالب العلم أن يجتهد في الحصول على العلم حتى يبلغ شريعة الله ﷻ إلى الخلق وإلا لم يتم تبليغ الشريعة؛ لأن تبليغ الشريعة يحتاج إلى علم، فالاجتهاد الاجتهاد في العلم.

[1] مسند أحمد (11/ 583)، سنن الدارمي (1/ 455).

المقتطف الثالث: العلم جهاد:

العلم يعتبر جهاد في سبيل الله ﷻ، وعليه يبنى الجهاد وسائر أمور الإسلام؛ لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢، يعني لولا نفر الجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوه، أي الطائفة القاعدون في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو لعلهم يحذرون.

فجعل الله ﷻ الفقه في دينه معادلاً للجهاد في سبيله، العلم أولى من الجهاد؛ لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد ولا أن يصلي المصلي ولا يستيقظ المستيقظ إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء، ولذلك قال النبي ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[1]

لا فرق بين المجاهد في ساحة القتال وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كلاً منهم يعمل للجهاد في سبيل الله ﷻ وبيان شريعته للعباد، ويعتبر الجهاد في سبيل الله ﷻ مثل العلم تماماً، بل هناك بعض العلماء فضل العلم على الجهاد، ومن الجدير بالعبد أن يسأل الله ﷻ دائماً أن يزيده من العلم، فلابد أن يسعى في الأسباب التي يحصل بها العلم، **قال ابن تيمية** رضي الله عنه: "تعلم العلم وتعليمه يدخل بعضه في الجهاد وأنه من أنواع الجهاد من جهة أنه من

[1] رواه البخاري (1/ 24)، رواه مسلم (2/ 718)

فروض الكفايات"[1]، **قال ابن رجب الحنبلي**: " من يشتغل بالعلم؛ لأنّه أحد نوعي الجهاد، فيكون اشتغاله بالعلم كالجهاد في سبيل الله ﷻ والدعوة إِلَيْهِ"[2]

والعلم أفضل وأعظم العبادات، قال علي بن أبي طالب ﷺ: "العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله ﷻ"[3]

المقتطف الرابع: أثر الدنيا على أهل العلم:

قال ابن القيم ﷺ: "كل من أثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلابد أن يقول على الله ﷻ غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الله ﷻ كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولاسيما الذين يتبعون الشهوات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً، فإذا كان العالم والحاكم محبين الرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة، قال ﷻ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ مريم: ٥٩، وقال ﷻ فيهم أيضاً: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾ الأعراف: ١٦٩، فأخبر الله ﷻ أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا سيغفر لنا، و إن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك،

[1] الفتاوي الكبرى لابن تيمية (5/ 342).
[2] مجموع رسائل ابن رجب (1/ 242).
[3] المدخل لابن الحاج (1/ 69)، إحياء علوم الدين (1/ 7)

وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله ﷻ غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ﷻ ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه، وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخر خير من الدنيا وما فيها، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها والآخرة ودوامها، وإن اتباع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرئاسات والشهوات، يقول ﷻ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥"[1]

المقتطف الخامس: العلم والعمل:

العلم نقل صورة المعلوم الخارج وإثباتها في النفس، والعمل نقل صورة علمية من النفس وإثباتها في الخارج، فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح، وكثيراً ما يثبت ويتراءى في النفس صور ليس لها وجود حقيقي فيظنها الذي قد أثبتها في نفسه علماً وإنما هي مقدرة لا حقيقة لها، وما كان مطابقاً للحقيقة في الخارج نوعان هما:

1. نوع تكمل النفس بإدراكه والعلم به، وهو العلم بأسماء الله ﷻ وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه.

[1] الفوائد لابن القيم ص 100 - 101

2. نوع لا يحصل للنفس به كمال وهو كل علم لا يضر الجهل به، فإنه لا ينفع العلم به، وكان النبي ﷺ يستعيذ من علم لا ينفع، قال ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع"[1] فالإنسان حين يكتسب العلم فإنّه يكتسب المصباح الذي ينير له دربه ويمكّنه من توسيع مداركه وآفاق تفكيره في الحياة، كما أنّ العلم هو مفتاح الولوج إلى كثيرٍ من مناحي الحياة والطّريق الذي يمكّن الإنسان من تطبيق ما تعلّمه، وإنّ النّاظر في الحياة ليتبيّن كيف يترادف العلم والعمل ويكمّلان بعضها البعض.

إن ارتباط العلم بالعمل قضية كبرى، ومسألة جوهرية في حياة العلماء وطلاب العلم، فإن العمل هو المقصود الأعظم من العلم، وبدونه لا قيمة للعلم، ولا فائدة من ورائه، **قال الشاطبي**: "العلم الذي هو العلم المعتبر شرعاً، أعني الذي مدح الله ﷻ ورسولُه ﷺ أهلَه على الإطلاق، هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحاملُ له على قوانينه طوعا أو كرهاً"[2]

فمن طلبه للعمل فتح له، **قال سيد قطب**: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل، إنه لم يجئ ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ – وإن كان هذا كله من محتوياته – إنما جاء ليكون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً"[3]

---

[1] سنن ابن ماجه (1/ 92)
[2] الموافقات للشاطبي (1/ 89).
[3] معالم في الطريق بتصرف.

ولابد أن تتعلم العلم وتعمل به وهي الغاية الأسمى للعلم، **قال ابن الجوزي** رضي الله عنه: "ليس العلم بمجرد صورته هو النافع بل معناه، وإنما يَنال معناه من تعلمه للعمل، فكلما دله على فضل اجتهد في نيله، وكلما نهاه عن نقص بالغ في تجنبه، فحينئذ يكشف العلم له سِرَّه، ويَسْهُل عليه طريقُه، فيصير كمجتذب يحث الجاذب، فإذا حركه عجل في سيره، والذي لا يعمل بالعلم لا يطلعه العلم على غوره ولا يكشف له عن سره، فيكون كمجذوب لجاذب جاذبه، فافهم هذا المثل وحَسِّن قصدك وإلا فلا تتعب"[1]

المقتطف السادس: العلم ثلاثة:

والعلم المقصود الموصل للآخرة، وهو النافع في رحلة السفر، والذي أراده الله عز وجل رحمة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة الله عز وجل على عباده أجمعين، وهو العلم الذي يهدي به الله سبحانه وتعالى لأقوم الطرق وأحسن السبل.

المقتطف السابع: شجرة العلم:

العلم قبل العمل وهو أول مدارج السالكين بعد استقرار الإيمان فكان استناد الداعية المسافر إلى شجرة العلم من أهم المنازل، للتزود بطاقة العمل الصائب، والعلم ضروري في أول طريق المسافر، وأثناء السفر والانقطاع، وفي كل مرحلة من مراحل السير، كما أن شجرة العلم تتميز عن غيرها بثمرتها، وثمرة العلم في تشبيهات الكثيرة من العلماء، فما أحوج المسافر إلى الأخذ بالعلم، ثم العمل بعلمه، فما أحلى شجرة العلم من شجرة، وما أنفعها في العمل العاجل، وما أحلى ثمرتها في الثواب الآجل.

[1] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 172

قال الخطيب البغدادي: "العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً"[1]

المقتطف الثامن: العلم ميزان العمل:

أن العلم أمام العمل، وقائد له والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه، فالعلم هو الميزان وهو المحك، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ الملك: ٢

المقتطف التاسع: في العلم فضل ورحمة:

إن علاج فتنة الشبهات لا يتم إلا بالعلم، فهو يجعل القلب محلاً لقبول الهداية، والعلم يجلب آلة الهداية، كما أنه يقود إلى دفع المؤمن لعمل الخير، فتجتمع من العلم الأمور الثلاثة التي تؤدي إلى الهداية التي تمنع هذه الفتنة، وإذا ما ذهبت الشبهات من القلب، فسوف تتصل الرحمة بالهدى فيكون في العلم من القرآن والسنة المزيد من الهدى والرحمة، وهكذا حتى تتحقق كلاً من الرحمة العاجلة والآجلة، والعاجلة ما يعطيهم الله ﷻ من محبة الخير ومحبة الاستزادة منه، وتذوق طعم الإيمان وحلاوته، وما يقود الخير إلى الفرح والسرور، وأما الآجلة فما أعده الله ﷻ للمؤمنين العاملين.

[1] اقتضاء العلم والعمل للخطيب البغدادي (1/ 14).

المبحث العاشر

حال السلف في طلب العلم

ولقد بلغ من حرصهم على الطَّلب الشيء العجيب، حتى هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والخلان في طَلِب العلم، قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: "ذللت طالباً فعززت مطلوباً"[1]، وقال أيضًا: " ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقيل على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لي؛ لمكاني من رسول الله ﷺ، ولكني أكره أن أمله"[2]

قَالَ يونس بن يزيد: قال لي ابن شهاب: "يا يونس! لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام"[3]

قام رجل إلى عبد الله بن المبارك رضي الله عنه فقال: " يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن، أو في طلب العلم؟ فقال: "هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم، قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن"[4]

قال ابن القيم رضي الله عنه: "وأما سعادة العلم، فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب، وصحة النية، ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة لتجالدوا عليها

---

[1] جامع بيان العلم وفضله (1/ 474).
[2] الطبقات الكبرى لابن سعد (2/ 371).
[3] جامع بيان العلم وفضله (1/ 431).
[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 165).

بالسيوف، ولكن خفت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل، ليختص الله ﷻ بها من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم"[1]

ولقد كان العلم هو حياة سلفنا، فمن أجله يأكلون، ومن أجله يتّجرون، ومن أجله يعيشون، وما ذاك إلا لأنه الطريق الموصل إلى عبادة رب العالمين ﷻ.

بل كانوا ﷺ يضحّون بأنفسهم في سبيل طلب العلم، قال هشام بن عمار ﷺ: "باع أبي بيتًا له بعشرين دينارًا وجهزني لطلب العلم والحج"[2]

وهذا إمام الدنيا في زمانه أبو عبد الله البخاري ﷺ، كما يحدّث عنه تلميذه ابن أبي حاتم ﷺ قال: "كنت معه في سفر، وكان يجمعنا سقف واحد، فكان يضطجع على فراشه لينام، فتمر بخاطره الفائدة فيقوم من فراشه ويأخذ القداحة، ويوقد السراج ويخرج أحاديثه فيعلم عليها، ثم يطفئ السراج ويضطجع لينام، فتمر به الفائدة فيقوم، هكذا دأبه، يصنع ذلك في الليلة الواحدة من خمس عشرة إلى عشرين مرة، فكان يصلي بالسحر ثلاثة عشر ركعة"[3]

وهذا الإمام الحازمي كان يدخل بيته في كل ليلة، فيطالع في الكتب ويصنف إلى الفجر، فقال أحدهم لخادمه: "لا تدفع إليه زيتًا للسراج، فلعله يستريح الليلة، فلما أقبل الليل، طلب الحازمي من خادمه زيتًا ليوقد السراج، فاعتذر إليه بانقطاع الزيت، فدخل الحازمي بيته وصفّ قدميه يصلي لله ﷻ في الظلام حتى طلع الفجر"[4]، إن المطالعة في كتب السلف الصالح ﷺ تنبئ عن علمهم وفضلهم وتزيد الإنسان علمًا، **قال ابن الجوزي:** "فسبيل طالب الكمال في العلم: الاطلاع على

---

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 108)

[2] سير أعلام النبلاء (11/ 428).

[3] فتح الباري لابن حجر (1/ 481)، تغليق التعليق (5/ 399)، تاريخ بغداد (2/ 322).

[4] سير أعلام النبلاء (15/ 354).

الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة"[1]

قال ابن الجوزي: "وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره من قبل فكأني وقعت على كنز، وإن كنت قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب"[2]

قال الخطيب البغدادي في وصف الكتاب: "حاضر نفعه، مأمون ضرره، ينشط بنشاطك فينبسط إليك، ويمل بملالك فينقبض عنك، إن أدنيته دنا، وإن أنأيته نأى، لا يبغيك شرًّا، ولا يفشي لك سرًّا، ولا ينم عليك، ولا يسعى بنميمته إليك"[3]

لقد كان سلفنا الصالح ﷺ يجوعون ويظمؤون في سبيل تحصيل العلم، **قال النضر بن شميل** ﷺ: "لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه"[4]

قال البخاري ﷺ: "تأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض وأنا في طلب العلم"[5]

أقوال الصحابة والتابعين ﷺ في العلم:

قال أبو يعقوب النهرجوري[6] ﷺ: "أفضل الأحوال ما قارن العلم"[7]

---

[1] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 453
[2] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 454
[3] تقييد العلم للخطيب البغدادي ص 120
[4] تذكرة الحفاظ للذهبي (1/ 229).
[5] فتح الباري لابن حجر (1/ 480)
[6] هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري، كان من مشايخ الصوفية، صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم، قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت في مشايخنا أنور منه. أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً، وبه مات سنة ثلاثين وثلاثمائة.
[7] سير أعلام النبلاء (11/ 465).

قال عمرو بن عثمان المكي: "العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة، فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد"[1]

قال أحد التابعين: "العلم حجاب بين القلب وبين الله ﷻ"[2]

قال الشافعي رضي الله عنه: "طلب العلم أفضل من صلاة نافلة"[3]

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: "العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته"[4]

قال ابن القيم رضي الله عنه: "ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصُحبة الملإ الأعلى، لكفى به شرفاً وفضلاً، فكيف وعِزُّ الدنيا والآخرة منوطٌ به، مشروط بحصوله؟!"[5]

قال ابن القيم رضي الله عنه: "للعلم ست مراتب: أولها: حسن السؤال، والثانية: حسن الإنصات، والثالثة: حسن الفهم، والرابعة: الحفظ، والخامسة: التعليم، والسادسة وهي ثمرته: العمل به ومراعاة حدوده"[6]

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: "يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيّاً، والعز وإن كان مهيناً، والقرب وإن كان قصيّاً، والغنى وإن كان فقيراً، والمهابة وإن كان وضيعاً"[7]

---

[1] سير أعلام النبلاء (11/ 38).
[2] بصائر ذوي التمييز (4/ 90).
[3] مجموع رسائل ابن رجب (1/ 37).
[4] الشرح الممتع على زاد المستنقع (4/ 6).
[5] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 104).
[6] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 184).
[7] فيض القدير (1/ 542).

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: "من طلب العلم خالصاً لينتفع به عباد الله وينفع نفسه كان الخمول أحب إليه من التطاول، فذلك الذي يزداد في نفسه ذلاً، وفي العبادة اجتهاداً، ومن الله خوفاً وإليه اشتياقاً، وفي الناس تواضعاً لا يبالي على ما أمسى وأصبح في هذه الدنيا"[1]

قال عليٍّ رضي الله عنه: "يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم، تلك إلى الله عز وجل"[2]

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله عز وجل خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الإخلاء يرفع الله سبحانه وتعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة قائمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعد

---

[1] شعب الإيمان (3/ 282).
[2] جامع بيان العلم وفضله (1/ 696)

القيام, به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام العمل, والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء"[1]

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 238).

الـخـاتـمـة

الحمد لله الذي وفقنا في تقديم هذا الكتاب، وقد كان الكتاب يتكلم عن **العلم الشرعي**، وقد بذلنا كل الجهد والبذل لكي يخرج هذا الكتاب في هذا الشكل.

ونرجو من الله ﷻ أن تكون رحلة ممتعة وشيقة، وكذلك نرجو أن تكون قد أرتقت بدرجات العقل والفكر، حيث لم يكن هذا الجهد بالجهد اليسير، ونحن لا ندعى الكمال فإن الكمال لله ﷻ فقط، ونحن قد قدمنا كل الجهد لهذا الكتاب، فإن وفقنا فمن الله ﷻ وإن أخفقنا فمن أنفسنا، وكفانا نحن شرف المحاولة، وأخيراً نرجو أن يكون هذا الكتاب قد نال إعجابكم.

وصلي وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين

الـــفـــهـــرس

العنوان	رقم الصفحة
قالوا	2
مأثورات	3
دعاء	4
الإهداء	5
إهداء خاص	6
شكر وتقدير	7
المقدمة	8
تعريف العلم وفضله وحكم طلبه	11
آداب طالب العلم	26
الأسباب المعينة على طلب العلم	43
الأخطاء التي يرتكبها بعض طلبة العلم	50
فوائد طلب العلم	61
مفاتن العلم	64
معوقات عن طلب العلم	69
آفات طلب العلم	77
مقتطفات عن العلم	84
حال السلف في طلب العلم	93
الخاتمة	99
الفهرس	100